السماحـة

في

القرآن الكريم

(دراسة موضوعية)

إعداد وإشراف

الأستاذ الدكتور/ عبد السلام حمدان عودة اللوح

أستاذ التفسير وعلوم القرآن– كلية أصول الدين– الجامعة الإسلامية– غزة

الباحث المساعد

الأستاذ/ عامر مصطفى خليل قاسم

ماجستير تفسير وعلوم قرآن– الجامعة الإسلامية بغزة

هذا البحث بدعم من مجلس البحث العلمي بوزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية.

1435هـ- 2014م

المقدمة

الحمد لله الذي جعل السماحة سمة النبيين ودأب الصالحين، والصلاة والسلام على نبي الرحمة والسماحة، ذي العفو والصفح الجميل، وهو نبيُّ الملحمة حفاظًا على الدين، وعلى آله وصحبه الذين سطَّروا أروع معاني السماحة، بعفوهم وصفحهم عمَّن ظلمهم، تاركين وراء ظهورهم ألم الظلم، متسلحين بهذا السلاح الملتمس من القرآن الكريم والسنة النبوية، وبعد...

فمعلوم أن القرآن الكريم من أول سورة فيه إلى آخر سورة يرسخ مبادئ وملامح عامة للدعوة إلى الله تعالى؛ **فقد كانت الآيات المكية فيه** تؤصل العقيدة، وتحذر من مغبة عقاب الله تعالى حالة الزيغ والشطط، وبالتالي فإن هذه المرحلة اتسمت بضرورة الصبر والتريُّث وحسن الدخول إلى قلوب الناس جميعًا: مؤمنهم، وكافرهم، وتصفية القلوب من الشوائب، ومن حب الدنيا واللهث وراءها، **وكانت الآيات المدنية** ترسخ مبدأ تمكين هذا الدين في الأرض، والدعوة إلى الله تعالى، وجهاد الكفار والمنافقين، ولم تكن صفة السماحة عن ذلكما العهدين ببعيد؛ فالرسالة الإسلامية شعارها في عهديها العفوُ والصفحُ الجميل، اللذان هما أصل السماحة التي جاء بها الدين.

ومن أجل ذلك كان لا بدَّ أن يفرد هذا الموضوع ببحثٍ علميٍّ محكَّم؛ للوصول إلى نتائج يمكن الاستفادة منها، والبناء عليها في ضوء القرآن الكريم، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

أولًا: أهمية الموضوع

تبرز أهمية الموضوع من خلال النقاط التالية:

1. موضوع السماحة موضوع حيويٌّ، تهوي إليه أفئدة الجميع مؤمنًا كان أم غير ذلك.
2. بني هذا الدين في عهدي الرسالة على السماحة التي هي أصل الدين.

ثانيًا: أسباب اختيار الموضوع

1. مساهمة منا في توسيع رقعة الدعوة، وتمدد مساحة الخطاب القرآني في قلوب من هم غير مسلمين.
2. طلب الكثيرين من أهل العلم أن يفرد هذا الموضوع الحيوي ببحثٍ علميٍّ يوضِّح أن آيات الترغيب والترهيب تحث على السماحة على حدٍّ سواء.

ثالثًا: أهداف الدراسة والغاية منها

للدراسة أهداف وغايات، نذكر منها:

1. إبراز الوجه الحقيقي للإسلام، من خلال قضية حيوية مفصلة من قضاياه بما يخدم الدعوة إلى الله تعالى.
2. استثمار منحة وزارة التربية والتعليم العالي في نشر سماحة الإسلام وعدالته ويسره، بما يسهم في كسب قلوب الناس خاصةً الذين لا يؤمنون بهذا الدين.

رابعًا: الدراسات السابقة

بعد البحث والمطالعة وجدنا أن الباحثين قد أسهبوا في الحديث عن سماحة الإسلام عمومًا، ولكنهم لم يتناولوا هذا الموضوع في ضوء القرآن الكريم إلا القليل منهم، مثل: الرسالة العلمية التي هي بعنوان (آيات اليسر والسماحة في القرآن الكريم وأثرها على الفرد والجماعة – دراسة موضوعية تفسيرية) للباحثة نبيلة عبد الرازق، وهي رسالة ماجستير، ولكننا سنتناول هذا الموضوع من زاوية الملامح العامة للدعوة إلى الله تعالى باعتباره خُلُقًا عاليًا اختصت به الشريعة السمحة، وكيف رسى هذا الخُلُقُ الرفيعُ في قلوبِ المسلمين رغم الأحداث والابتلاءات؟

خامسًا: حدود البحث

جميع آيات القرآن الكريم؛ لاستخراج العبر والعظات التي تتعلق بالسماحة، من خلال أمثلة على كل فرع من فروع تقسيمة البحث، والخروج بلطائف بعد الغوص في أحشاء كتب التفسير واللغة وعلوم القرآن، والعقيدة، والفقه، وكافة المراجع التي تخدم الموضوع.

سادسًا: منهج البحث

منهجنا في هذا البحث – إن شاء الله تعالى– باتباع المنهج الوصفي الموضوعي.

سابعًا: خطة البحث

اقتضت طبيعة البحث أن تكون الخطة مشتملةً على مقدمة وسبعة مباحث وخاتمة موزعة على النحو التالي:

- المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختيار الموضوع، وأهداف الدراسة والغاية منها، والدراسات السابقة، وحدود البحث، ومنهج البحث، وخطة الدراسة.
- المبحث الأول: مفهوم السماحة.
- المبحث الثاني: السماحة في الدين.
- المبحث الثالث: السماحة في الدعوة إلى الله.
- المبحث الرابع: السماحة مع. المخالفين للدين.
- المبحث الخامس: سماحة الإسلام في العلاقات الاجتماعية.
- المبحث السادس: السماحة في الخصومات.
- المبحث السابع: جزاء أهل السماحة في الدنيا والآخرة.
- الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.
- فهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول

مفهوم السماحة

المطلب الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي

أولًا: السماحة لغةً

"السين والميم والحاء أصل يدل على سلاسة وسهولة. يقال سمح له بالشيء. ورجل سمح، أي جواد، وقوم سمحاء ومساميح. ويقال سمح في سيره، إذا أسرع"[1]

جاءت مادة سمح في كتب المعاجم على عدة ألفاظ، منها: الجود، والسلاسة، والسهولة، والسرعة، والموافقة على طلب، والعطاء،... وكلها تكمِّل بعضها البعض في المعنى؛ فهي تشترك في مفهوم الليونة من غير تفريط، وقد جاء فيها اشتقاقات، منها: السماح والسماحة، وسميح وجمعها سمحاء، ومسماح وجمعها مساميح، وامرأة سمحة ونسوة سماح[2].

إن تاء السماحة لا تعني فقط التأنيث اللفظي المجازي، وإنما تعني أيضًا النقل من الوصفية إلى الاسمية؛ وعلى هذا يمكن القول إن وصف السماحة يكون في بعض اشتقاقاتها وليس في لفظ هذه الكلمة؛ إذ إنها لفظ دالٌّ على معنىً كبيرٍ، هو كل ما نقصده في هذا البحث وغيره.

ثانيًا: السماحة اصطلاحًا

كثيرون هم الذين تحدثوا عن سماحة الإسلام، وصوره، ودفع الشبهات التي تثار من الحاقدين، من خلال بيان سماحة الإسلام؛ لكن القليل من تحدَّث عن السماحة اصطلاحًا؛ بحيث يكون لها ضابط يحسم مدلولها عمَّا سواها، وبمعنىً آخر فإنه لم يوقف على معنى السماحة اصطلاحًا عند القدماء إلا بما أشار إليه علي الجرجاني رحمه الله، بقوله: "السماحة هي بذل ما لا يجب تفضُّلًا"[3].

أما المحْدَثون فإنه لم يوقف إلا على تعريفين تطرَّقا بشكل واضح لهذا المصطلح، وهما:

1. الشيخ فالح الصغير، حيث عرَّفه بقوله: "تطبيق الأحكام الشرعية بصورة معتدلة، كما جاءت في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، من غير تشدُّد يحرِّم الحلال، ولا تميُّع يحلِّلُ الحرام"[4].

---

(1) مقاييس اللغة- ابن فارس- 99/3.

(2) انظر: تهذيب اللغة- الأزهري- 200/4، مجمل اللغة- ابن فارس- ص473، مقاييس اللغة- ابن فارس- 99/3، الصحاح- الجوهري- 376/1، جمهرة اللغة- الأزدي- 535/1، مشارق الأنوار- أبو الفضل عياض السبتي- 220/2.

(3) انظر: التعريفات- الجرجاني- ص121.

(4) اليسر والسماحة في الإسلام- ص7.

2. والأستاذ الدكتور/ حكمت بن بشير ياسين، حيث يقول في تعريف السماحة: "التسامح هو القلب النابض لحياة طيبة، ونفس زكية خالية من العنف والتطرف"[5].

وبالنظر إلى هذين التعريفين يمكن القول إن التعريف الأول تعريف جميل، ويحمل معاني قوية حاسمة لمدلول هذا المصطلح؛ لكنه وإن كان عامًّا إلا أن القارئ يستشعر من هذا التعريف أنه يختص بالأحكام الشرعية، وبجوانب تتعلق بالعبادات والمعاملات، غير أن البحث الذي نحن بصدده يتعلق بالسماحة كخلق تهذيبي للنفس، وبالتالي فإن هذا التعريف لم يظهر هذا الجانب بوضوح وجلاء.

كما أن التعريف الثاني يصلح أن يكون صفة للسماحة، وليس تعريفًا جامعًا مانعًا، وانطلاقًا مما سبق واستئناسًا به، يتضح أن تعريف السماحة في الاصطلاح هو: "**التطبيق العملي لمنهج الإسلام بما يضمن بيان مقاصد الدعوة إلى الله تعالى، التي تحث على الاعتدال من غير تشدُّد يحرِّم الحلال، ولا تميُّع يحلل الحرام في شتى مناحي الدين الإسلامي**"، ويحسب الباحثان أن هذا التعريف يكون قد شمل تعريف الشيخ فالح، وأضاف عليه جوانب الدين الأخرى بوضوح، سيما الأخلاق الحميدة، وما يفيد ذلك في الدعوة إلى الله؛ لأن الداعية يجب أن تكون السماحة سجيَّةً عنده.

المطلب الثاني: السماحة في الاستعمال القرآني

لم ترد مادة سمح في القرآن الكريم، ولا بأيٍّ من اشتقاقاتها، وإنما جاءت في السنة النبوية، ونذكر منها: حديث جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهما: أَنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قَالَ: "**رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى**"[6]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سئل النبي ﷺ: أي الأديان أحب إلى الله ﷻ؟ قال: "**الْحَنِيْفِيَّةُ السَّمْحَةُ**"[7].

وينبغي الإشارة إلى أن مدلول السماحة الإسلامية ارتبط ارتباطًا مباشرًا بتاريخ دعوة الإسلام، ومن هنا يتبين لنا مدى التحول الجذري لأولئك الرجال الذين تحولوا بفضل الله تعالى من رعاة الغنم والبقر إلى قادة البشر؛ فإن مبدأ السماحة الذي طغى على شتى مناحي بناء الأمة الإسلامية، سواء في مرحلة الإعداد الإيماني والتأهيل لحمل أعباء الدولة الإسلامية في العهد المكي، أو في مرحلة بسط السيطرة على الدولة في العهد المدني، بعد أن توفَّر لرسول الله ﷺ الغطاء الجغرافي، والسياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، وكافة

---

(5) سماحة الإسلام في التعامل مع غير المسلمين- ص1.

(6) صحيح البخاري- كتاب البيوع- باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع، ومن طلب حقًّا فليطلبه في عفاف- 57/3- حديث رقم (2076).

(7) قال الألباني: حسن لغيره، انظر: صحيح الأدب المفرد- باب حسن الخلق إذا فقهوا- ص122- حديث رقم (287).

الأغطية التي بها تقوم الدولة.

إن من رحمة الله تعالى بالبشرية أن الخطاب الإسلامي سيما القرآني تكون أوامره ونواهيه وجميع أحكامه النظرية والعملية متسمةً بالسماحة من خلال التهيئة الكافية قبل الخطاب، وما أن يأتي ذلك الخطاب حتى تستقبله النفس البشرية صاحبة الفطرة السليمة برحابة صدر، ومن هنا يتبين لنا أنَّ السماحة لا تخلو من أية آية من آيات القرآن الكريم.

وقد عالجت الآيات القرآنية عمومًا موضوع السماحة في عهدي الرسالة؛ وتوضيح ذلك:

أنَّ العهد المكي عالج قضيتين أساسيتين، هما: التوحيد، والبعث.

- أما قضية التوحيد، فقد اتسمت بالمواجهة عبر تطويق كفار مكة بكافة وسائل الإقناع السلمي على توحيد الله تعالى، وما أن يبين الحق حتى تترك حرية الاعتقاد وفي ذلك يقول تعالى: **(ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ...)**[الكهف:29].

- وأما قضية البعث، فقد اتسمت كما التوحيد بذكر وابل من الأدلة التي تفنِّد قناعاتهم، وهذا بعد بيان تلك القناعات، والشبهات التي يثيرها الكفار، وهذا البيان يكون أمينًا، مع قوة تلك التفنيدات، بما لا يدع مدخلًا للإنكار إلا من باب المكابرة، وبذلك تترسخ قضية السماحة في شتى مناحيها، عبر الألفاظ، وروح تلك الألفاظ، وترك المساحة لإعمال العقل، ومن ثم إمتاع العاطفة، ومثال ذلك قوله تعالى: **(ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ)**[يس:78-82][8]، فإنَّ هذه الآيات الكريمة دلَّت على أروع جوانب السماحة، عبر بيان مَنْ ضرَبَ المثَل، وهو أُبَيُّ بن خلف الذي جاء إلى النبي ﷺ وفي يده عظم حائل فقال: يا محمد، أنى يحيي الله هذا؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية مبينةً بدقة ما قاله ذلك الكافر، ويأمر الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ أن يخبر هذا الكافر وكل من يتبعه أن الذي خلقها أول مرة، هو من يخلقها من بعد ممات، فعلم الله تعالى لا يُنْسَى من الخلق والإيجاد[9]، ثم تستطرد الآيات الكريمة بذكر جميع الأدلة التي تطوِّق عقلية الكفار بما ادَّعوه من شُبَهٍ زائفة، وهذا لوحده يكفي أن يدلل على سماحة الدين، ومع ذلك فإن الألفاظ ليست منفرة، وحاشاها أن تكون كذلك، بل تحمل معاني دعوية عظيمة.

كما أن العهد المدني عالج قضايا رئيسة، منها:

---

(8) انظر: سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله- عبد العظيم المطعني- ص14.

(9) انظر: بحر العلوم- السمرقندي- 132/3، تفسير القرآن العظيم- ابن أبي حاتم- 3202/10، الدر المنثور- السيوطي- 74/7.

- الحديث الدقيق عن المنافقين، وفي ذلك يقول تعالى: (ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ)[النساء:142].
- ذكر جميع العبادات التشريعية، وتفصيل العقيدة، فإن ذكر حرية العبادة حتى في ظل قوة المسلمين، ورعب الكفر منهم دليلٌ عمليٌّ على تلك السماحة التي امتازت بها شريعة الإسلام، فقد قال تعالى: (ﯜ □)[البقرة:256].

كما أن السماحة تشمل جوانب التشريع بما فيه قتال المشركين وأسرهم، وإنما شُرِع ذلك لصد عدوان الطغاة، الذين يقفون أمام الدين، فإذا ما وفق الله تعالى للحفاظ على الدين دونما قتالٍ فبها ونعمت، وإلا فالقتال هو الطريق، ولا يقدمه بعد ذلك خيار، وفي ذلك يقول تعالى: (ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ) [النساء:84]، ويقول تعالى في غاية القتال الذي يكلل بالنصر: (ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ)[الحج:41].

وستمثل جميع المباحث والمطالب اللاحقة – إن شاء الله تعالى- تفصيلًا يوضح ماهية السماحة وتفرعاتها، وما تعالجه، مما فيه يسر ورفع للحرج والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

المطلب الثالث: الألفاظ ذات الصلة (العفو- الصفح-كظم الغيظ- الغلظة- الفظاظة)

أولًا: كلمة العفو

العفو في اللغة تعني معنيين، هما **الزيادة** كما في قوله تعالى: (... □ □ □ □ □ □ ...)[البقرة:219]، "أَيْ: ما فضل من المال عن العيال، وكان الرَّجل بعد نزول هذه الآية يأخذ من كسبه ما يكفيه، وينفق باقيه إلى أن فُرضت الزَّكاة، فنسخت آية الزَّكاة التي في براءة هذه الآية، وكلَّ صدقةٍ أُمروا بها قبل الزَّكاة"[10]، ومن معانيها **القلة والمحو**، ومنه عفت الديار أي: ذهبت ودرست[11]، ومن ذلك قوله

---

(10) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- الواحدي النيسابوري- ص164.

(11) انظر: مشارق الأنوار- عياض السبتي- 98/2، القاموس المحيط- الفيروز أبادي- ص1313.

تعالى: (... □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ...)[المائدة:95]، وعلى هذا تكون مادة (عفو) من ألفاظ الأضداد[12]، وكلا المدلولين المتضادين يحملان معنى السماحة وروحها، وقد وردت آية في القرآن الكريم تحمل المعنيين المتضادين للعفو، وهي قوله تعالى: (ﭽ ﭼ ﭻ ﭺ ﭹ ﭸ)[الأعراف:199].

وقد وردت مادة عَفَوَ في القرآن الكريم، مما ليس من أسماء الله تعالى ولا صفاته ست عشرة مرة في خمس عشرة آيةً قرآنيةً، في ثمانية اشتقاقات، وهي: **العفو**، **وعفا**، **ويعفون**، **وتعفوا**، **ويعفو**، **وليعفوا**، **فاعف**، **فاعفوا**.

ثانيًا: كلمة الصفح

الصفح في اللغة يعني ثلاثة معانٍ، وهي: الجانب، والإعراض والترك، والعفو[13]، وقد جمع تلك المعاني قوله تعالى: (ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ) [الحِجر:85]، فقد ورد في تفسير الصفح الجميل هنا أربعة أقوال، منها:

1. الإعراض من غير جزع.
2. وأنه صفح المنكر عليهم بكفرهم، المقيم على وعظهم.
3. والعفو عنهم من غير توبيخ ولا تعنيف.
4. والرضا عنهم من غير عتاب[14].

وقد وردت مادة **صفح** في القرآن الكريم خمس مرات، في أربع آيات، عبر أربعة اشتقاقات، هي: **ليصفحوا**، **فاصفح**، **واصفح**، **الصفح**.

ثالثًا: كظم الغيظ

كظم الغيظ في اللغة يعني ردّه وحبسه[15]، كما في قوله تعالى عن صفات المتقين: (ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ)[آل عمران:134]، فقد ورد في تفسير كظم الغيظ هنا، أن يمتلئ غيظًا، فيمنع نفوذه[16].

وقد وردت كلمة كظم الغيظ مرة واحدة، وهي في الآية المدنية التي ذكرناها.

---

(12) انظر: المرجع السابق- الصفحة نفسها.

(13) انظر: تاج العروس- مرتضى الزبيدي- 539/6.

(14) انظر: النكت والعيون- الماوردي- 170/3.

(15) انظر: القاموس المحيط- الفيروز أبادي- ص1155.

(16) انظر: تفسير القرآن- السمعاني- 350/1.

رابعًا: كلمة الفظاظة

وهذه الكلمة هي عكس معنى السماحة وروحها، وهي تعني الغلظة والجفاء، يقال عن ماء الكرش[17]: فظيظ[18]، ولم ترد في القرآن الكريم إلا مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى: **(ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ)**[آل عمران:159]، فقد ورد في تفسير الفظاظة أنها غلظة القول، وأما غلظة القلب فإنها تكون في الفعل[19]، وكلتاهما مخالفةٌ لروح السماحة التي جاء بها القرآن الكريم.

خامسًا: كلمة الغلظة

سبقت الإشارة في الكلمة السابقة أن الفظاظة غلظة القول، وأن غلظة القلب هي غلظة الفعل، وعلى هذا تكون كلمة الغلظة أشمل من كلمة الفظاظة، وكلتاهما تشتركان في أنهما ضد السماحة؛ لكن كلمة الفظاظة جاءت في سياق افتراضي؛ بمعنى أنه لو كان رسول الله محمد ﷺ فظًّا لما كان صحابة رسول الله ﷺ حوله، ولانفضُّوا منه.

وقد وردت كلمة الغلظة ثماني مرات، في ثماني آيات، عبر ثلاثة اشتقاقات، هي: **اغلظ، وغليظ، وغلظة.**

ومما هو لافت للنظر، أن الألفاظ ذات الصلة بالسماحة مما ذكرناه في هذا المطلب، جاءت إحدى وثلاثين مرة في القرآن الكريم، في حين أن روح السماحة لا تخلو من كل الآيات القرآنية، كما أن كلمة السماحة تشمل جميع الألفاظ ذات الصلة بها، وأعم من ذلك، وهذا هو سر اختيار هذه الكلمة دون غيرها، وبالتالي سيتم –إن شاء الله– تناول ما يبرز سماحة القرآن الكريم بصفة عامة، بغض النظر عمَّا إذا كانت ضمن الألفاظ أو عكسها.

---

(17) الكرش هي المعدة والعرب إذا أعوزهم الماء في الصحراء نحروا جزورا واعتصروا ماء كرشها فشربوه وقيل لماء الكرش فظ وفظيظ لغلظه وخبثه انظر: الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي– محمد الأزهري الهروي–38/1، لسان العرب– ابن منظور– 206/7.

(18) انظر: المنجَّد في اللغة– كراع النمل– ص294.

(19) انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز– الواحدي– 240/1.

المبحث الثاني

السماحة في الدين

المطلب الأول: السماحة في الاعتقاد

عرض القرآن الكريم مفهوم السماحة في الاعتقاد، عبر أروع جوانبها، وذلك على النحو التالي:

1. ذكرٌ أمين لأقوال الكفار، بما فيه مؤامرات مبيَّتة على الرسول ﷺ ودعوته، ومن ثم الرد المطوّق لكافة ادِّعاءاتهم، وكلُّ هذا بأسلوب الرد الدعوي، الذي ينير الطريق، ولا يقف عند الأحقاد، ومثال هذا قوله تعالى: ﴿ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ڪ ڪ گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ڲ ڲ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ﴾[آل عمران:72-76]، فإن هذه الآيات ذكرت مدلولات عظيمةً للسماحة في الاعتقاد، وذلك أن الآية الثانية والسبعين تذكر أن اليهود قال بعضهم لبعض: أظهروا الإيمان بمحمد ﷺ أول النهار، واكفروا به آخره؛ ليتم التشكيك بدعوة الإسلام، ومن ثمَّ – حسب أمانيِّ اليهود– يرجع هؤلاء الموحدون عن إيمانهم، ونصرة الرسول ﷺ، ثم يمارس أولئك اليهود أحقادهم الخفية، وذلك بأمرهم لأتباعم ألَّا يتأثروا بدعوة النبي محمد ﷺ، وإنما يكون الإيمان لمن تبع دينكم، فيأتي الرد الربانيُّ بأن الهدى الحقيقي هو هدى الله تعالى ونحن عليه، "فالمعنى أن علماء اليهود قالت لهم: لا تصدقوا بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم، أي لا إيمان لهم ولا حجة، فعطف على المعنى من العلم والحكمة والكتاب والحجة والمن والسلوى وفلق البحر وغيرها من الفضائل والكرامات، أي أنها لا تكون إلا فيكم فلا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا من تبع دينكم"[20]، حتى تكون لهم حجة عند الله تعالى؛ فيكون الرد أن سيدنا محمدًا ﷺ مأمور من الله تعالى أن يقول لهم بأن الفضل والتكرم بيد الله تعالى، لا بيد غيره، والله واسع عليم، فله اختصاص الرحمة لمن يشاء من عباده، والله ذو الفضل العظيم، ويشعر بذلك من يهتدي إلى الحق[21]، وتأمُّلنا في تلك الألفاظ يجعلنا نعيش مع جمال أسلوب الدعوة مع المتآمرين، ثم يبين الله تعالى لنا منهجية الإنصاف في الحكم عليهم، فإن من أهل الكتاب، من يؤمَّن في المال ولو بقنطار وما دونه فهو يؤدِّيه إلى صاحبه دون مماطلة، ومنهم – وهم الأكثرون– من إن أمَّنته بدينار من المال، فإنه يبقى مماطلًا إلا إذا طالبت ولازمت، وألححت لاستخلاص حقك، وإن الذي جعلهم يجحدون الحقوق أنهم ظنُّوا كذبًا أنَّه لا حرج عليهم أن يفعلوا

---

(20) الجامع لأحكام القرآن– القرطبي– 113/4.

(21) انظر: أنوار التنزيل– البيضاوي– 23/2.

ذلك مع الأميين، وهم العرب، مدَّعين أن الله أحلها لهم، فهم يعلمون علم اليقين بأنهم كذَّابون في ادِّعائهم[22]، ثم تستطرد هذه الآيات مبينةً سماحة الإسلام العظيم، وذلك ببيان أنه ليس الأمر كما قالوا، ولفظة بلى لمجرد نفي ما قبلها، وعلى هذا فإن من أوفى بعهده والتزاماته، فإن الله تعالى يحب المتقين، وهي صفة إيمانية تقرِّب قلوب الحيارى منهم إلى الدين[23].

2. لا يجبر الإنسان على الإيمان شرط ألَّا يكون محاربًا، ومثل هذا قوله تعالى: **(ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ)**[البقرة:256]، فإن هذه الآية الكريمة قد اختلف في تفسيرها[24]، وذكر ابن كثير بأنَّ المعنى: "لا تكرهوا أحدًا على الدخول في دين الإسلام، فإنه بيِّنٌ واضحٌ جليٌّ دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يُكْرَهَ أحدٌ على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرهًا مقسورًا"[25]، وقد ذكرت كتب التفسير عددًا من الأحداث التي كانت سببًا لنزول هذه الآية، وكلها سليمة الدراية، لكننا سنذكر حدثًا واحدًا ذكره الواحدي النيسابوري، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت المرأة من نساء الأنصار تكون عندها مشكلة في الإنجاب، فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده، فلما أجليت النضير، كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناءنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية[26].

3. الرخصة لمن أكره على الكفر شرط ألَّا ينشرح الصدر به، ومثل هذا قوله تعالى: **(ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ)**[النحل:106]، حيث إنه لما بيَّنت الآية السابقة الذين لا يؤمنون مطلقًا، بل إن من صفاتهم أنهم عريقون في الكذب ظاهرًا وباطنًا، تذكر هذه الآية الكريمة صنفًا من هؤلاء الكاذبين الكفار، فهم أشد خطرًا، سواء أكانوا مؤمنين بالفعل ثم كفروا، أو أنهم أقيمت الحجة عليهم عبر الأدلة الكثيرة الموجبة للإيمان، ولكن هذا الكافر جحد بالله تعالى، واستكبر على آياته الكونية والمتلوة، لكن سماحة الإسلام تتضح هنا، وذلك من خلال أن الذي كفر من لسانه خوفًا على حياته، فإنه معفوٌّ عنه، مع أولوية الأخذ بالعزيمة إن كان في ذلك إغاظة لأعداء الله تعالى، ويشترط لمن أُكرِه على الكفر ألَّا يكون صدره منشرحًا بذلك، فإن من كان كذلك، فهو

---

(22) انظر: تفسير القرآن العظيم- ابن كثير- 60/2.

(23) انظر: لباب التأويل- الخازن- 261/1.

(24) انظر: إرشاد العقل السليم- أبو السعود- 97/2، فتح القدير- الشوكاني- 315/1.

(25) تفسير القرآن العظيم- ابن كثير- 682/1.

(26) انظر: أسباب النزول- الواحدي النيسابوري- ص83.

الكاذب، وعليه غضب من الله تعالى، ولهم عذاب عظيم[27].

سبب نزول الآية:

"قال ابن عباس: نزلت في عمار بن ياسر، وذلك أن المشركين أخذوه وأباه ياسرًا وأمه سمية، وصهيبًا، وبلالًا وخبابًا وسالمًا فعذَّبوهم، فأما سمية فإنها ربطت بين بعيرين، وجيء قبلها بحربة، وقيل لها: إنك أسلمت من أجل الرجال فقتلت، وقتل زوجها ياسر، وهما أول قتيلين قتلا في الإسلام، وأما عمار فإنه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهًا، فأخبر النبي ﷺ، بأن عمارًا كفر، فقال: "كلا، إن عمارًا مُلِئَ إيمانًا من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه"، فأتى عمار رسول الله ﷺ وهو يبكي، فجعل رسول الله عليه الصلاة والسلام يمسح عينيه، وقال: **"إن عادوا لك فعد لهم بما قلت"**[28]، فأنزل الله تعالى هذه الآية"[29].

4. الدين يؤاخي بين المؤمنين، ومثل هذا قوله تعالى: **(ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ)**[الحُجُرات:10]، "أي: إنما المؤمنون إخوة في الدين فأصْلِحوا بينهم إذا اقتتِلوا بأن تحملهم على حكم كتاب الله ﷻ"[30]، وإن الأسلوب هنا أسلوب حصريٌّ، يحصر ضابط أخوة الدين على المؤمنين، وإن المؤمنين بعضهم أولياء بعض؛ لأنهم يتعاونون على جامع الخير، وينتهون عن جامع الشر، كما قال تعالى: **(ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ)** [التوبة:71].

5. من سماحة الإسلام في الاعتقاد، وجوب إجارة المستجير، كما قال تعالى: **(ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ)**[التوبة:6]، فقد ذكرت الآية الكريمة أنه إذا استجار أيٌّ من المشركين الذين أُمِر النبي محمد ﷺ بقتاله، فإنه يؤمر بتأمينه، حتى يسمع كلام الله، ويقرأ عليه النبي ﷺ القرآن، ويذكر له شيئًا من جوانب الدين وسماحته، ثم يبقى حتى يبلغ المكان

---

(27) انظر: نظم الدرر- البقاعي- 258/11.

(28) ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله أن هذا الحديث مرسل، ورجاله ثقات (انظر: فتح الباري- ابن حجر- 312/12)، ورد موصولًا في المستدرك للحاكم عن محمد بن عمار عن أبيه برقم"3362" قال الذهبي على شرط البخاري ومسلم.

(29) أسباب النزول- الواحدي النيسابوري- ص281، ابن ماجه رقم"4127" والطبراني رقم"3693" عن خباب . قال الألباني: صحيح.

(30) الهداية إلى بلوغ النهاية- مكي بن أبي طالب- 7001/11.

الآمن، فهم لا يعلمون شيئًا عن الدين[31]، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَيُرَدُّ عَلَى أَقْصَاهُمْ**"[32].

6. من سماحة الإسلام في الاعتقاد، وجوب استقامة العهد مع الذين عوهدوا من قبل المسلمين، كما قال تعالى: **(**ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ **)**[التوبة:7]، حيث تبين هذه الآية الكريمة أن من بقي ملتزمًا بعهده، رغم نقض الآخرين كبني كنانة وبني ضمرة يوم الحديبية، فإن الدين يُلْزِمنا أن نستقيم بالعهد مع من كان مستقيمًا بالعهد من المشركين، فإن الله تعالى يحب المتقين[33].

إن من سماحة الإسلام أن آيات القرآن الكريم شرحت بالتفصيل أصول الاعتقاد؛ حتى يبقى المنهج الإسلامي واضحًا لا يعتريه أيُّ نقص أو اختلاف، فهو من عند عليم حكيم، ولذلك فقد تم الخلوص إلى نتيجة، وهي أن جوهر الاعتقاد سماحة، وصدق الله تعالى، حيث يقول: **(**ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ **)**[النساء:165].

المطلب الثاني: السماحة في التشريع

إن الشريعة المقصودة، هي تلك الممارسة الإيمانية الصادقة للاعتقاد الرباني، وقد توسَّع الخطاب القرآني في بيان سماحة الإسلام في كل تشريع من التشريعات الإسلامية، وهذه بعضها:

أولًا: عدم تحميل النفس ما لا تطيق، كما في قوله تعالى: **(**ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ **)**[البقرة:286]، حيث تبدأ هذه الآية بجملة استئنافية على الأرجح؛ لتقرر أن الله تعالى هو الذي يقول بأنه لا يكلف الله تعالى نفسًا بما لا تطيق، فإن ثمرة التزام الصحابة بما لا يستطيعون أن الله تعالى صرف عنهم الحرج، ورفع عنهم ما لا يطيقون...[34].

---

(31) انظر: التفسير الحديث- محمد عزت دروزة- 358/9.

(32) سنن ابن ماجه- أبواب الديات -باب المسلمون تتكافأ دماؤهم- 689/3- حديث رقم (2683)، قال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره، سنن أبي داود- حديث رقم 2715 والنسائي- حديث رقم 4735، قال الالباني : صحيح.

(33) انظر: التفسير الميسر- نخبة من أساتذة التفاسير- ص188.

(34) انظر: التحرير والتنوير- ابن عاشور- 134/3، الموسوعة القرآنية- إبراهيم الأبياري- 204/9.

ثانيًا: آيات كثيرة تتحدث عن الرخص، منها قوله تعالى: **(ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ)**[الأنعام:145]، حيث ذكر الإمام السيوطي نقلًا عن الإمام الشافعي أن هذه الآية لا تعني أن الحرام من المطعومات فقط في هذه الآية، وإنما تعني أن الكفار كانوا على المحادة والمضادة، كأن تقول لواحد: لا تأكل اليوم حلاوة، فيقول لك: لا آكل اليوم إلا حلاوة، وفي ذلك يقول إمام الحرمين: ولولا سبق الإمام الشافعي لما استطعنا أن نستجيز مخالفة الإمام مالك في جواز أكل الكلاب[35]، وإن هذه الآية كما آيات الرُّخص تذكر بوضوح عظمة السماحة التي تميَّزت بها الشريعة السمحة، وذلك أن الشريعة لم تأت لتحريم كل شيء، وإنما لضبط المنفعة في الدنيا والآخرة، بما يكفل سعادة حقيقية دائمة للفرد والمجتمع.

ثالثًا: التدرج في التشريع: وقد حفل القرآن الكريم بشواهد كثيرة للتدرج، بما يعزز مفهوم السماحة، ومدلولها من الناحية العملية، ومثال هذا آيات الخمر، حيث ذكرت الآيات الأربعة، وتوضيح ذلك:

- أن الآية الأولى نزلت في مكة، وهي قوله تعالى: **(ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ)**[النحل:67]، حيث بيَّنت هذه الآية المكية أنَّ السكر مبغَضٌ إلى أهل الإيمان، ولكن الله تعالى أشار إلى ذلك، تركًا للزمان، فهو في هذه الأزمان كان محل عفو[36].
- وقد جاءت الآية الثانية في المدينة في أول الهجرة؛ وهي قوله تعالى: **(ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ □ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ)**[البقرة:219]، حيث ذكرت هذه الآية المفاسد وتركت للخلق الحكم عليها؛ إذ كانت الخمر جزءًا لا يتجزأ من عاداتهم التي ألفوها[37].
- ثم جاءت الآية الثالثة؛ لتضع تطبيقًا عمليًّا تدرجيًّا لمنع الخمر، إذ إن هذا بإلف عادتهم، وبالتالي من حصر الأوقات، وتضييقها لمنع الخمر وتعاطيها[38]، وذلك في قوله تعالى: **(ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □)**[النساء:43].
- وما إن تهيَّأت النفوس حتى جاء الخطاب القرآني الحاسم بمنع الخمر، وتحريم تعاطيها، بل ومعاقبة من يفعل ذلك في الدنيا قبل الآخرة، فنزل قوله تعالى: **(ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ**

---

(35) انظر: الإتقان في علوم القرآن- السيوطي- 110/1.

(36) انظر: زهرة التفاسير- أبو زهرة- 4212/8.

(37) انظر: تفسير الشعراوي- 938/2.

(38) انظر: المرجع السابق- 2257/4.

ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ)[المائدة:91]، عندها ما كان من المسلمين إلا أن تخلَّصوا من الخمر التي في بيوتهم، فأضحت شوارع المدينة وديانًا من الخمر(39).

وهذا التدرج، وكل أمثلته مما لم نذكره دالٌّ على سماحة الإسلام في تشريعاته.

رابعًا: رفع الحرج في التشريعات، مع ذكر أمثلة على ذلك، ومثل ذلك في آية المائدة، وهي قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ)[المائدة:6]، حيث ذكر الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى خمسين حكمًا فقهيًّا مستنبطًا من هذه الآية، جُلُّها يبين عظمة السماحة القرآنية(40).

وقد سبقت الإشارة في المبحث الأول، في مطلبه الثاني أنَّ السماحة تكون في كل تشريعٍ من التشريعات؛ حتى في القتال، فهو وإن بدا في ظاهره أنه قتال؛ إلا أنه لأجل الرحمة بالعموم، وهي مدلولٌ عظيمٌ لسماحةِ الإسلام.

المبحث الثالث

السماحة في الدعوة إلى الله

المطلب الأول: الرحمة واللين في الدعوة

إن سماحة الإسلام تقتضي أن يكون توجيه طاقات المسلمين إلى الدعوة إلى الله تعالى؛ حتى لا يبقى شقيٌّ ولا محروم من الدعوة في هذه الأرض، وبالتالي فإن الرحمة واللين في الدعوة يجب أن يكونا سمة الداعية، وقد حفل الكثير من الآيات القرآنية ببيان السماحة في الدعوة إلى الله تعالى، من خلال بيان الرحمة واللين في الدعوة إلى الله تعالى، و هذه أمثلة من ذلك:

أولًا: رحمة القلب الداعي إلى الله تعالى بالخلق جميعًا، وقد شهد القرآن الكريم مواقف عظيمة للقلب الرحيم، المتمثل في النبي محمد ﷺ، ومنها:

1. قوله تعالى: (ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ)[التوبة:128]، حيث تبدأ الآية بلام موطئة للقسم، وب(قد) التي تفيد التحقيق، وكل هذا لخطاب المؤمنين، بأنه جاءكم رسول من العرب، تعرفون نسبه وحسبه، فليس في قبيلة من قبائل العرب إلا وللرسول فيها نسب، والله تعالى شديد عليه إذا شقَّ عليكم، ولكن حاشاه أن يكون كذلك، فهو حريص على هدايتكم من الضلال، وهو بالمؤمنين كلهم

(39) انظر: التحرير والتنوير- ابن عاشور- 23/7.

(40) انظر: تيسير الكريم الرحمن- السعدي- ص222.

رؤوف رحيم[41]، ونلاحظ أن هذه الآية الكريمة بينت بشكل واضح جوانب عديدة من السماحة التي ملأت قلب النبي محمد ﷺ، ومنها أنه لا يملك إلا أن يكون شفوقًا عليكم، ومنها أن الله تعالى منحه اسمين، مليئين بالسماحة الدالة على كل خير.

2. بينت آيات عديدة أن النبي محمدًا ﷺ يحترق قلبه خوفًا على الناس جميعًا من غضب الله تعالى، ومنها قوله تعالى: ﴿ڈ ڈ ٹ ٹ ڈ ڈ ف ف ڤ ڤ ڤ﴾[الكهف:6]، حيث تبين هذه الآية الكريمة مدى استعداد النبي محمد ﷺ للتضحية لأجل الدعوة إلى الله تعالى، لدرجة أنه قارب على هلاك نفسه وقتلها على أثر عدم إيمان هؤلاء الكفار بهذا القرآن حزنًا وغضبًا على كفرهم، وهذا الحزن أتى بعد وصول الكفار إلى أبشع أنواع التبجح بالكفر والتكذيب للرسالة، وقد جاء في القرآن الكريم مثل هذا المدلول، كقوله تعالى: ﴿... □ □ □ ...﴾[النحل:127]، وقوله تعالى: ﴿ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ﴾[الشعراء:3]، وقوله تعالى: ﴿ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ھ﴾[فاطر:8][42]، وهذا يبين عظيم سماحته ﷺ، فهو لا يبحث عن نفسه، إنما يبحث عن إنقاذ كل كافر من إنس وجان، والأخذ بأيديهم إلى رحمة الله تعالى.

3. أمر الله تعالى لنبيه محمد ﷺ أن يحبس نفسه، ويقضي جل أوقاته الدعوية مع الداعين إلى الله تعالى بغض النظر عن أوضاعهم الاجتماعية، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ٱ ب ب ب ب پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ﴾[الكهف:28]، وقد جاء في سبب نزول هذه الآية والتي قبلها، عن سلمان الفارسي ﷺ، قال: جاء المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله ﷺ، ومنهم عيينة بن حصن والأقرع بن حابس وأهاليهم، فقالوا: يا رسول الله، إنك لو جلست في صدر المجلس، ونحَّيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم -يعنون سلمان وأبا ذر وفقراء المسلمين، وكانت عليهم جباب الصوف لم يكن عليهم غيرها- جلسنا إليك وحادثناك وأخذنا عنك، فأنزل الله تعالى هذه الآية، والتي قبلها، والتي بعدها[43]، وعلى هذا فإن الآية تأمر رسولنا محمدًا ﷺ، بأن يحبس نفسه مع هؤلاء الفقراء الداعين إلى الله تعالى حبس ملازمة لهم، فهم الذين لا ينفكون عن الدعاء إلى الله تعالى ليلًا ونهارًا، يبتغون وجه الله تعالى، ولا تعدُ عيناك عنهم، أي: لا تعرض عنهم، ولو بأن تنتبه إلى غيرهم تريد زينة زائفة من هؤلاء المستكبرين الكفار[44]، يقول ابن عاشور: "وهذا الكلام تعريض بحماقة سادة المشركين

---

(41) انظر: جامع البيان- الطبري- 584/14، بحر العلوم- السمرقندي- 100/2، تفسير القرآن العظيم- ابن أبي حاتم- 1917/6.

(42) انظر: الجامع لأحكام القرآن- القرطبي- 353/10، تفسير القرآن العظيم- ابن كثير- 137/5.

(43) انظر: أسباب النزول- الواحدي النيسابوري- ص297، لباب النقول- السيوطي- ص130.

(44) انظر: أضواء البيان- الشنقيطي- 263/3.

الذين جعلوا همهم وعنايتهم بالأمور الظاهرة وأهملوا الاعتبار بالحقائق والمكارم النفسية فاستكبروا عن مجالسة أهل الفضل والعقول الراجحة والقلوب النيرة وجعلوا همهم الصور الظاهرة"[45]، ثم يذكر القرآن الكريم في آية قرآنية أخرى ما يُحصِّن هؤلاء المستضعفين، وبقائهم في الرعاية الشرعية، وذلك بأسلوب النهي عن طردهم، كما في قوله تعالى: ﴿ ﴾[الأنعام:52]، حيث تنهى هذه الآية الكريمة نبينا محمدًا ﷺ، أن يطرد الفقراء المسلمين الداعين إلى الله تعالى صباح مساء مبتغين وجه الله تعالى عن مجالسته، فكلٌّ له حسابه عند الله تعالى، ولستَ من يحاسِبهم، أو يحاسَب عنهم، فإن طردتهم فإنك ساعتها تكون من الظالمين[46]، ولا شكَّ أن هذه الألفاظ قاسية على النبي محمدٍ ﷺ لمجرد أن نفسه حدَّثته بمجاملة سادة قريش طمعًا في الإسلام، فإن السماحة يجب أن تقتضي الرحمة بأولئك الضعفاء المساكين، الذين لا يدَّخرون جهدًا في نصرة هذا الدين، وبالتالي فإن ضابط الرحمة في الدعوة كونه ليس مرتبطًا بردة فعل، وإنما تكون السماحة والرحمة سجية عند الداعية المسلم، سيما وأنها علامة على رحمة الإسلام، وبالتالي فإن الدعاة ليسوا محاسبين على النتيجة شرط ألَّا يدَّخروا أي جهد قلبيًّا كان أو قوليًّا أو عمليًّا في ميدان الدعوة، وعلى هذا فإن الالتزام بما يأمر الله تعالى من رحمة، ولين في القول أولى بكثير من الاجتهاد فيما لا يجوز الاجتهاد فيه، وصدق الله تعالى حيث يقول: ﴿ ﴾[الحُجُرات:1].

4. حرص الرسول ﷺ على أن يكون كل الناس على اختلاف أجناسهم وألوانهم مؤمنين، وهذا يوضحه قوله تعالى: ﴿ ﴾[يوسف:103]، حيث تذكر هذه الآية في معرض الرحمة بالرسول ﷺ الرحيم، الذي يحرص على هداية كل مخلوق من إنس وجان، فإنه ﷺ لو حرص وتهالكت نفسه لهداية الخلق، فإنه لا يكون مؤمنًا إلا القليل[47]، وهذا الجانب دالٌّ على معنىً عظيم من السماحة والرحمة في الدعوة إلى الله تعالى، فإن السواد الأعظم من الناس كفار، بل إن من المؤمنين خلقًا لا يفعلون ما يرضي الله تعالى، ومع ذلك فإن الله ﷻ لا يؤاخذهم بما كسبوا، بل يؤخرهم إلى أجلٍ معلوم، قال تعالى: ﴿ ﴾[فاطر:45]، حيث إن هذه الآية تبين للناس عمومًا شيئًا من عظيم رحمة الله تعالى وفضله، فهي دعوة إلى أولئك الذين اغتروا بتأخير حساب الله تعالى، حتى حسبوه عجزًا، أو رضًا من الله تعالى بما هم فيه، وفحوى مقتضى الدعوة أن يرجعوا إلى الله تعالى، فإن الله تعالى يمنحكم أيها الطغاة كل فرصة

---

(45) التحرير والتنوير- ابن عاشور- 305/15.

(46) انظر: تيسير الكريم الرحمن- السعدي- ص257.

(47) انظر: الموسوعة القرآنية- إبراهيم الأبياري- 147/10.

في هذه الدنيا[48]؛ حتى العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعل الطغاة يرجعون، كما قال تعالى: ﴿ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ﴾[السجدة:21].

5. من رحمة الله تعالى أنه أنزل أمانين لهذه الأمة، وهما ما جاء في القرآن الكريم حينما قال الكفار: ﴿ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ﴾ [الأنفال:32]، عندها نزل قوله تعالى: ﴿ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ﴾[الأنفال:33]، وقد أخرج الشيخان "عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال أبو جهل: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. فنزلت: ﴿ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ﴿ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ﴾ [الأنفال:33-34]"[49]، وعلى هذا فإن الله تعالى أنزل أمانين لهذه الأمة، فالأمان الأول هو وجود الرسول ﷺ فيهم حيًّا، والأمان الآخر هو الاستغفار.

6. من صفات الداعية الحق سيما الرسول ﷺ أنه سمحٌ في رحمته ولين في قوله، سيما مع من أساء الأسلوب، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ﴾[آل عمران:159]، أي: فبرحمة من الله تعالى وفضله، كان اللين في القول منك لهم، رغم عدم الطاعة منهم، فلو كان الرسول ﷺ فظًّا في القول غليظًا في القلب، لتركوه وحده، وما جاء إليه الناس، وبالتالي فإن الله تعالى يأمر نبيه ﷺ أن يعفو عنهم بما يلزمهم من حكمٍ أوحدٍّ، بل ومطلوب منك أن تستغفر لهم الله تعالى، ثم أن تشاورهم في الأمور التي تحتاج إلى مشاورة، فإن ذلك أطيب لأنفس القوم، وإذا وصلت إلى قرار بعد المشاورة، فامضِ به وتوكَّل على الله تعالى، فإن الله تعالى يحب المتوكلين عليه حق التوكل[50].

ثانيًا: القول اللين من الدعاة حتى مع رؤوس الكفر، فقد حفل القرآن الكريم بذكر هذا الجانب، عبر الحديث عن الأنبياء وخطابهم لقومهم، وتوضيح ذلك فيما يأتي:

1. ورد أمر رباني لسيدنا موسى وهارون عليهما السلام بالقول اللين مع فرعون لعله يتذكر أو يخشى، كما في قوله تعالى: ﴿ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ﴿ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ﴾[طه:42-44]، حيث إنه بعد أن بينت الآية السابقة أن الله تعالى اصطنع سيدنا موسى عليه السلام

---

(48) انظر: التحرير والتنوير- ابن عاشور- 339/22.

(49) صحيح البخاري- كتاب تفسير القرآن- باب قوله ﴿ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ﴾[الأنفال:32]- 62/6-حديث رقم (4648)، صحيح مسلم- كتاب صفة القيامة والجنة والنار- باب قوله ﴿ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ... ﴾[الأنفال:33]- 2154/4- حديث رقم (2796)، المحرر في أسباب نزول القرآن- خالد المزيني- 563/1.

(50) انظر: تفسير القرآن العزيز- ابن أبي زمنين- 330/1.

لرسالته، تبين هذه الآيات المذكورة، أن الله تعالى أمر سيدنا موسى وأخاه هارون عليهما السلام بألَّا يفترا أو يضعفا في حمل الرسالة، أن يذهبا إلى فرعون، فقد تجاوز كلَّ الحدود، فقولا له قولًا لطيفًا رقيقًا لعله يرجع إلى الصواب والحق، أو يخشى من عقاب الله تعالى[51].

2. ورد في آيات كثيرة قول بعض الأنبياء لأقوامهم يا قوم إني أخاف عليكم، كما في قوله تعالى في حديثه عن قصة سيدنا نوح عليه السلام: ﴿ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ﴾ [الأعراف:59]، ثم الرد من قبل سيدنا نوح عليه السلام على اتهاماتهم اللاذعة بمزيد من الحكمة، ولين الجانب، كما في قوله تعالى: ﴿چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ۈ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ۈ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ۈ ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ہ ۓ ے ۓ ے ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ﴾[الأعراف:60-64]، حيث إن سيدنا نوحًا عليه السلام يرد على تلك الاتهامات الموجهة بأنه ليس به ضلالة (والضلالة أخص من الضلال)، ويبين بأساليب التوكيد أنه رسول من رب العالمين، يبلغ شريعة الله تعالى السمحة، وهو لقومه ناصح لا يدخر جهدًا، وبأية وسيلة في هدايتهم، ويركز على ما يدور في خلجات صدورهم بقوله: هل تعجبتم أن تأتي رسالة الله تعالى على يد رجل منكم، ليحذركم ويخوفكم من عقاب الله تعالى، حتى تكون المحصلة رحمةً كبيرةً من الله تعالى[52].

وإن قصة سيدنا نوح عليه السلام وحالة السماحة والرحمة الدعوية في الخطاب، ومن ثم لين الجانب، هي نموذج قرآني من مخزون نماذجه سيما في الحديث عن الأنبياء، سيما سيدنا صالح عليه السلام، وسيدنا هود عليه السلام، وكل أنبياء الله عليهم جميعًا أفضل الصلاة وأتم التسليم.

كما أن منبر السماحة الدعوية في الرحمة ولين الجانب مما ذُكِر في القرآن الكريم لم يقتصر فقط على الأنبياء، وإنما تعدَّى إلى ذكر الدعاة الغيورين، ومثل ذلك قصة الرجل الصالح، الذي خلَّد القرآن الكريم ذكر مسيرته الدعوية الغيورة على الدين في سورة يس، حيث جاء من أقصى المدينة يسعى في الخير شفقة منه على هؤلاء المكذبين بالرسل، فاستخدم أجمل الألفاظ وأطيبها، حرصًا منه على أن يعافوا من العقاب الرباني جزاء تكذيبهم، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ہ ۓ ے ۓ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ﴾[يس:20-27].

التفسير الإجمالي للآيات القرآنية:

---

(51) انظر: النكت والعيون- الماوردي- 404/3، تفسير القرآن- السمعاني- 331/3.

(52) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل- ابن جزي- 292/1، الجامع لأحكام القرآن- القرطبي- 232/7.

هذه الآيات الكريمة تبين لنا نموذجًا عظيمًا لداعية إلى الله تعالى، هو حبيب النجار الذي آمن برسول الله محمد ﷺ، وبينهما ستمائة سنة – ومثله في الإيمان تُبَّع الأكبر، وورقة بن نوفل–، فلقد سمع هذا الداعية الغيور نبأ تكذيب القوم لرسلهم، فما كان منه إلا أن جهر بدعوته، بعد قطع مسافة من أقصى المدينة إلى حيث يسكن القوم، فقال محاكيًا لطريقة الرسل في تبليغهم: يا أهلي، ويا ربعي، إني أرشدكم إلى ما ينفعكم في دنياكم وآخرتكم، فالأمر سهل ومليء بالسعادة التي لا تنتهي، وهو لا يعدو عن كونكم تلتزمون قلبًا وقولًا وعملًا باتباع كل ما جاء به المرسلون، فهؤلاء لا يطلبون منكم أيَّ مالٍ، أو شهرةٍ، أو جاهٍ، ومع ذلك فهم مهتدون إلى الحق، ثم يتساءل هذا الداعية الغيور سؤالًا تحريضيًّا على حسن الاتباع، بقوله: ولِمَ لا أعبد الذي خلقني منذ الولادة على فطرة التوحيد، والمرجع والمصير كله إلى الله تعالى، فماذا سأردُّ على سؤاله تعالى لي؟!، وهو أسلوب بالغ في الحكمة الدعوية، إذ إنه يتكلم عن نفسه، ثم يوجِّه الإشارة إليه في العاقبة التي يمكن أن تحل عليهم، دونما فقد لسيطرته عليهم، عبر استفزاز كرامتهم، بالسباب والشتم وما إلى ذلك، فهو مجتهد بعد خلوص نيته، في أنجع الطرق التي تردُّهم إلى دين الله تعالى، وتلك هي السماحة والرحمة ولين القول في الدعوة إلى الله تعالى، ثم يستطرد هذا الداعية دعوته إليهم بسؤالٍ آخر افتراضيٍّ، وذلك بقوله: أأتخذ من دون الله تعالى آلهةً لا تضر ولا تنفع أعبدها، فإني أعلمكم أن الله ﷻ إذا أراد بي ضرًّا، فلا تنفعني شفاعة هذه الآلهة شيئًا، ولا يستطيعون أن ينصروني، ولا حتى إنقاذي، وعندها فإني أكون من الضالين عن طريق الخير، وما ينفعني في الدنيا والآخرة، ثم يجهر بالتمسك بالدين، وذلك بإعلان إيمانه بالله تعالى، حيث قال تلطفًا بهم (بربكم)، وقال بعد ذلك فاسمعوا مقالتي الإيمانية هذه واستجيبوا لنداء الحق، وفي هذا تحدٍّ ضمنيٌّ بأنه متصلِّب في دعوته، فماذا سيفعلون إلا ما كتب الله تعالى له، فما كان من القوم إلا أن قتلوه، فقيل له من قبل الله تعالى إكرامًا له ادخل الجنة، فإذا بهذا الداعية الشفوق الرحيم الحنون يقول حال كونه خائفًا على قومه من العذاب: يا ليت قومي يعلمون، بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين(53).

موقف آخر لرحمة داعية ولينه في القول:

وهي تلك القصة الرائعة لمؤمن آل فرعون، حيث جاء في سورة غافر– وتسمَّى أيضًا سورة المؤمن نسبةً له–، حيث إنه غار على رسول الله موسى عليه السلام، عندما رأى ذلك التآمر الكبير من فرعون وقومه على قتل سيدنا موسى عليه السلام، ففي تلك اللحظات الحرجة كان لا بدَّ لهذا الداعية أن يتحرَّك، فما عاد كتم الإيمان ينفع، وتوجَّب عليه رحمه الله تعالى أن يصدع بالحق، فسلك أسلوبًا دعويًّا رائعًا مليئًا باللين والرحمة بهم، مع عدم المجاملة والخديعة لهم، وذلك كما يلي:

---

(53) انظر: جامع البيان– الطبري–504/20، الجامع لأحكام القرآن– القرطبي– 17/15، إرشاد العقل السليم– أبو السعود–164/7.

1. رغم أنه من آل فرعون، إلا أن مواجهته لأهله وقومه كانت في بداية الأمر بإعطائهم السبب الذي من أجله آمن هذا الداعية، وهو أن سيدنا موسى ﷺ كان يقول ربي الله، وأنه ﷺ قد جاء بكل الدلائل والبينات المادية والمعنوية الدالة على إثبات أحقية ما يقول، ومن عظيم إخلاص هذا الرجل أن الله تعالى علَّمه فقه المناظرة، وذلك إنه يخبر أن سيدنا موسى ﷺ إن كان كاذبًا فلستم مؤاخذين على كذبه، وإن كان صادقًا فمن المؤكَّد أنه سيصيبكم ببعض ما وعدكم، ثم ردَّهم إلى الله تعالى، بقوله إن الله ﷻ لا يهدي ولا يوفِّق المسرف الكذاب، وها نحن نرى أمره سديدًا، ومنهجه مستقيمًا، وبالتالي هي إشارة بعد الحجة والبيان إلى تصديقه[54]، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ﴾[غافر:28].

2. ثم يستطرد بذكر النصائح تلو النصائح، ومنها: استخدام لفظة (يا قوم)، وبيان قوتهم الحالية، وأنهم يوم أن يأذن الله تعالى لا حول لهم ولا قوة، ورغم إجرام فرعون وتجبُّره إلا أنه يستمر في تذكيرهم بمن كان قبلهم من الأقوام الغابرة، وما حلَّ بهم، لعلهم يرجعون عن الباطل، ثم تذكيرهم بيوم القيامة، واستخدام الألفاظ التي تجعل القلوب القاسية رحيمة[55]، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﮭ ﮮ ﮮ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى □﴾[غافر:29-33].

3. ثم التذكير بما جاء به سيدنا يوسف ؈ من البينات، وبمجرد أن مات ؈ إذ أنتم تقولون لن يبعث الله من بعده رسولًا، ثم يبين العاقبة تلو العاقبة في الدنيا والآخرة على من لم يتبع الحق والهدى، ورغم أن فرعون ماضٍ في علوِّه وتكبره الذي بلغ كل وصف، واستعلاؤه لا يماثله استعلاء إلا أن مؤمن آل فرعون يحثهم على اتباع الحق والإيمان، شفقة منه ورحمة عليهم، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﮭ ﮮ ﮮ ۇ ۇ﴾[غافر:34-38].

4. ثم يذكر قومه بأن الدنيا زائلة، وأن الآخرة هي الباقية، وإن من رحمة الله تعالى وفضله، أنه لا يجزي بالسيئة إلا مثلها، ويجزي بالحسنة أضعاف الأضعاف، قال تعالى: ﴿ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى

---

(54) انظر: تفسير القرآن العظيم- ابن كثير- 141/7.

(55) انظر: زاد المسير- جمال الدين ابن الجوزي- 36/4.

)[غافر:39-40].

5. ثم يتحرك قلبه خوفًا عليهم وشفقة بهم، بتذكيره لهم قبل فوات الأوان، بأنه يدعوهم إلى النجاة من غضب الله، ويكون ردُّهم بأنهم يدعونه إلى النار، ويكون هذا بدعوتهم له للكفر بالله تعالى، والإشراك به إلهًا آخر، رغم أن دعوته لهم إنما هي لله الذي من صفاته العزة والمغفرة، ولا شك أن دعوتهم إلى الشرك ليس فيها دعوة مستجابة، ولكن مردَّنا جميعًا إلى الله، وإن من أسرف من خلال شركه بالله تعالى فهو صاحب النار[56]، وفي ذلك يقول تعالى: (ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ۞ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ۞ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ)[غافر:41-43].

6. ثم يتوعَّدهم وعيدًا يحمل في طياته نصحًا من مشفق عليهم، وذلك بقوله: ستذكرون قولي عند حلول العذاب، ثم فوَّض أمره إلى الله تعالى بعد القيام بكل واجباته، معتقدًا هذا الداعية المجاهد اعتقادًا جازمًا بأن الله بصير بالعباد، وكانت النتيجة الحتمية أن الله تعالى حماه من مكرهم وكيدهم، وهم الذين ذاقوا الويلات جزاء كفرهم وتكذيبهم[57]، وفي ذلك يقول تعالى: (ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ۞ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ)[غافر:44-45].

وبعد، فقد خلص الباحثان مما تقدَّم أن باب السماحة في الدعوة كله يحمل في طياته رحمة، وإن أعظم الواعظين بالرحمة في دعوتهم هم الأنبياء المرسلون، ثم الصالحون، فلا تحكمهم في دعوتهم ردة فعل، وإنما تبلغ رحمتهم حدًّا لا يوصف، سيما مع من يخالفهم أو يعلن الحرب عليهم، فلا يفقدون لين القول، ولا شفقة القلب مهما بلغ الخصم من حد السفه، والفساد، والطغيان، وصدق الله تعالى حيث يقول في كتابه العزيز: (ک ک گ گ گ گ)[الأنبياء:107].

المطلب الثاني: الصبر على الأذى

لا شكَّ أن الصبر على الأذى بنوعيه القولي والفعلي سمةُ الداعية الحق الذي يعيش مع الإسلام وسماحته في الدعوة، وبالتالي سيقف الباحثان عند بعض النماذج التي تدلل على روعة السماحة في صبر الداعية على أذى المعاندين لدعوة الحق، وهي كما يأتي:

---

(56) انظر: أنوار التنزيل- البيضاوي- 59/5، التسهيل لعلوم التنزيل- ابن جزي- 231/2، تفسير القرآن- العز بن عبد السلام- 118/3.

(57) انظر: المحرر الوجيز- ابن عطية- 562/4، مدارك التنزيل- النسفي- 214/3.

أولًا: الصبر على الأذى القولي

ويمكن تلخيص ذلك من خلال النقاط التالية:

1. جاء في سورة المزمل أمر الرسول ﷺ بالصبر على إيذاء كفار مكة بالقول اللاذع منهم، مع تسليته ببيان عاقبتهم في الآخرة إن لم يرجعوا عن طغيانهم، ومحاولات استفزازهم لرسول الله محمد ﷺ، وذلك في قوله تعالى: (ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ)[المزَّمل:10-13]، فقد ذكرت هذه الآيات أنه لما اتخذ الرسول ﷺ ربَّه ﷻ وكيلًا وحسيبًا، فإنه يتوجب عليه أن يحبس نفسه عن الضجر مما يقولون، كما أُمِرَ من الله تعالى؛ فهذا تمام التفويض بإصلاح أمره على نحوٍ أعظم من إصلاحه أمور نفسه، ثمَّ أُمِر الرسول ﷺ من قِبَلِ الله تعالى أمرًا آخر، وهو أن يترك مخالطة أولئك الذين يتلسَّنون عليه ﷺ؛ فذلك هو الهجر الجميل، ومثله آيات كثيرة، منها قوله تعالى: (ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ)[النجم:29]، وقد اختلف المفسرون في نسخ هذه الآية من عدمها، ونحن نميل إلى رأي من قال إنها غير منسوخة، وأنها محمولة على مقتضيات مصلحة الدعوة بما يتلاءم مع روح السماحة، ثم بيَّن الله تعالى أنه لا حاجة مع اهتمامه ﷻ به ﷺ، بذلك القول الذي بدر من المكذبين من أهل التنعُّم، ومهَّلهم مدة قليلة إلى يوم بدر، فتحتمل كلمة ذرني، معنى: ارض بي يا محمد لعقابهم، وهذا يبين عظيم سماحة الإسلام مع المؤذين له، ثم ذكر ربنا ﷻ كيفية عذابهم عنده فقال: إن لدينا في الآخرة ما يقابل تنعُّمهم في الدنيا، فأولها: القيد الثقيل عليهم، وثانيها: الجحيم، وثالثها: الطعام الذي يغصُّ الإنسان، وهو طعام الزقُّوم والضريع، ورابعها: سائر أنواع العذاب(58).

وكلُّ هذا الوعيد هو في الآخرة؛ لما يترتب على ذكره في الآية من بيان روعة السماحة، عبر الصبر على الأذى، ففي الآيات الكريمة توضيح لا تأويل فيه، بأنَّ الله تعالى أمهلهم في الدنيا إلى غزوة بدر، وإلى الآخرة؛ لإعطائهم الفرصة الكافية للتوبة.

2. حاول أولئك المشركون التشكيك في الدين الإسلامي، فما كان من رسول الله ﷺ إلا أنه لجأ إلى الله تعالى أن يبين الحق، وأن تمضي الدعوة على خير وجه، ولم يكن في بال الرسول ﷺ أن يدعو على قومه، أو يدعو الله تعالى أن يهلكهم، وهذا كان عبر آيات عديدة، منها قوله تعالى: (ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ)[البقرة:144]، حيث جاء في سبب نزولها "عن البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: "كان رسول الله ﷺ صلَّى نحو بيت المقدس، ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يوجه إلى الكعبة، فأنزل الله: (ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ...)[البقرة: 144]، فتوجه نحو الكعبة "، وقال السفهاء

---

(58) انظر: مفاتيح الغيب- الرازي-688/30، الجامع لأحكام القرآن- القرطبي- 45/19.

من الناس، وهم اليهود: ﴿...ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ﴾[البقرة:142]، فصلى مع النبي ﷺ رجل، ثم خرج بعد ما صلى، فمر على قوم من الأنصار في صلاة العصر نحو بيت المقدس، فقال: هو يشهد: أنه صلى مع رسول الله ﷺ، وأنه توجه نحو الكعبة، فتحرف القوم، حتى توجهوا نحو الكعبة"[59].

وإن سبب نزولها كافٍ لبيان عظيم السماحة التي حظيت بها شخصية الرسول محمد ﷺ، فإنهم يشككون في تبعيته ﷺ لربه ﷻ، وذلك من خلال توجهه ﷺ جهة بيت المقدس في القبلة، على اعتبار أنها هي قبلتهم، وكأنه ﷺ يتبع لهم، فما كان من رسول الله محمد ﷺ إلا أن دعا الله تعالى متوجهًا نحو السماء بأن تكون القبلة نحو المسجد الحرام، وإذا باليهود يطعنون في ذلك، عبر سفهائهم من الناس، وهم مشركو العرب، من خلال قولهم ما الذي جعلهم يحوِّلون قبلتهم التي كانوا عليها، فتجيب الآية القرآنية في أروع معاني السماحة، دونما سبٍّ، أو قذف، بأنه لله تعالى ما في المشرق وما في المغرب، وأنه ﷻ يهدي إلى الاستقامة الحقة من يشاء من عباده، سواءٌ أكانت هداية إرشاد أم هداية توفيق، وبعد تشكيكهم بأنه لا أجر للصلاة التي أقامها المسلمون حال كونهم متجهين نحو بيت المقدس في أكثر من سبعة عشر شهرًا، بيَّن الله تعالى أنه لا يضيع الصلاة، حيث سمَّاها القرآن (إيمانكم)[60].

ثانيًا: الصبر على الأذى الفعلي

بيّنت آيات عديدة جوانب من صبر الدعاة على الأذى الذي وقع فعلًا أو كاد أن يقع عليهم، و سنقف – إن شاء الله– على نموذج قرآنيٍّ منها؛ فقد جاء في سورة النحل، التخيير بين المماثلة في العقوبة لمن عاقب بعضًا من المسلمين، أو تسبب في إيذائهم، وبين حبس النفس عن تلك المماثلة في العقوبة، وذلك من خلال الصبر على ذلك، واحتساب الأجر من الله تعالى وحده، على أن يكون الصبر ناتجًا عن إرادة حقيقية ممن وقع عليه الأذى، أو أراد بذلك مصلحة دعوية مرجوة، فعندها يكون الصبر خيرًا وأعظم أجرًا، ثم أكَّدت الآيات أن الصبر مأمور به خير الدعاة سيدنا محمد ﷺ؛ لأن صبره ملتصق بحِكَمٍ دعوية، لا حصر لها، ثم يبين الله تعالى جانبًا قلبيًّا رحيمًا للنبي محمد ﷺ، وهو الحزن العميق على أحوال أولئك المكذبين، ومآلهم في الدنيا والآخرة، وقيل الحزن على قتلى أُحُد، ثم بيان الرحمة بالنبي محمد ﷺ بألَّا يضيق ذرعًا في أقواله وأفعاله وأحواله من المكر الذي يمارسه الأعداء المكذبون، الذي إن كان مكرهم لتزول منه الجبال[61]، والآيات هي: ﴿ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ □ □ □ □ □ □ □ ۞ □ □ □ □ □ □ □

---

(59) صحيح البخاري– كتاب الصلاة– باب التوجه نحو القبلة حيث كان– 88/1– حديث رقم (399).

(60) انظر: أحكام القرآن– الجصاص– 104/1، تفسير القرآن العزيز– ابن أبي زمنين– 183/1.

(61) انظر: اللباب في علوم الكتاب– ابن عادل– 190/12.

□ □ □ □ □ □ ى ى) [النحل:126،127]، وعلى هذا تكون الآيات مدنية، وقال الكثيرون إنها منسوخة بالآية التي بعدها[62]، والراجح أنها غير منسوخة، وإنما هي محمولةٌ على التخيير مع أفضلية الصبر، وبقاء مصلحة الدعوة ضمن الضوابط الدينية الدعوية مقياسًا صالحًا في التخيير بين مماثلة العقوبة، أو الصبر على تلك العقوبة.

المطلب الثالث: الإحسان إلى المسيء

إن الإحسان إلى من يسيء إلى الداعية – سواء أكانت شخصية أم قادحةً في دعوته ضمن الضوابط– سمة الأنبياء الصالحين، والأولياء المخلصين، وسيقف الباحثان — إن شاء الله– على هذا المطلب من خلال تناول تلك الآيات، التي عالجت نبأ ابني آدم، حيث ورد الإحسان إلى المسيء في معرض تلك القصة، حينما تقبَّل الله تعالى قربان أحدهما، ولم يتقبَّل من الآخر، فبدل أن يبارك الآخر للذي تقبَّل الله تعالى منه، ومن ثم يراجع حساباته مع ربه، إذ به يفكِّر في القتل والاستئصال للآخر، الذي هو أخوه، فأقسم له أنه سيقتله بأساليب توكيد متنوعة، فإذ بهذا الطيب، يقول: إنما يتقبَّل الله تعالى من المتقين الذين خافوه وعملوا له حسابًا، ثم يقول هذا الطيب الذي تقبل الله تعالى قربانه لذلك المجرم مقسمًا له، إن بسط إليه يده كناية عن القتل مع سبق الإصرار والترصد، فلن يماثل هذا الإجرام، والسبب عظيمٌ جدًّا، وهو الخوف من الله تعالى رب العالمين، فإنه يريد أن ينال هذا المجرم إثمه مع إثم ذات المجرم، فعندها يكون من أصحاب النار، ثم يبين ذلك الطيب أن ذلك العقاب جزاء كل ظالم، فما كان من ذلك المجرم إلا أن قتله، رغم هذه الدعوة التي تظهر أروع معاني الإحسان إلى من يفكر في أسوأ معاني الإساءة، وهي القتل العمد، وهناك كان الخسران المبين[63]، والآيات هي: (ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا □ □) [المائدة:27-30].

ولقد مرَّ في معرض الآيات السابقة الحديث بالتلميح أو التصريح عن ذلك الإحسان إلى المسيء، الذي يعدُّ جزءًا لا يتجزَّأ من سماحة الإسلام الشاملة لجميع مناحي الدين، ولا عجب؛ فهي تطبيق عمليٌّ لرسالة الإسلام، بما يعزز حب الدين في قلوب الناس جميعًا.

---

(62) انظر: تفسير القرآن– العز بن عبد السلام– 208/2، زاد المسير– جمال الدين ابن الجوزي– 593/2، الجامع لأحكام القرآن– القرطبي– 201/10، لباب التأويل– الخازن– 107/3.

(63) انظر: لباب التأويل– الخازن– 32/2، المحرر الوجيز– ابن عطية– 178/2.

المبحث الرابع

السماحة مع المخالفين للدين

المطلب الأول: المفاصلة العقدية

إن الإسلام يحمل في ثنايا روحه سماحةً حتى مع المخالفين للدين، ومن ذلك أن المفاصلة العقدية، وعدم المداهنة أو المجاملة لهم، تحمل في طياتها سماحة، وسيمثل هذا المطلب – إن شاء الله– توضيحًا لهذا الموضوع، من خلال سورة الكافرون، وهي قوله تعالى: ﴿ٱ ب ٻ ۞ٻ پ پ ڀ ۞ڀ ڀ ٺ ٺ ٿ ۞ٿ ٹ ٹ ٹ ۞ٹ ڤ ڤ ڦ ۞ڦ ڦ ڦ ڦ ﴾[الكافرون:1-6].

سبب النزول:

جاء في سبب نزول السورة عدة أقوال، وكلها سليمة الدراية؛ لأن المعنى حمَّالٌ لها، وهي تناسب السياق؛ وسنذكر – إن شاء الله– سببًا، وهو: "أنّ قريشًا قالوا للنبيّ ﷺ: إن سَرَّك أن نتبع دينك عاماً، وترجع إلى ديننا عاماً، فنزلت هذه السورة"[64]

التفسير الإجمالي للآيات:

اختلف المفسرون في هذه الآيات سيما الآية السادسة في نسخها من عدمه، والذي يترجّح أن هذه الآيات غير منسوخة، وإنما هي محمولة على المفاصلة العقدية، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿ی □ ﴾[البقرة:256]، وبالتالي فإن المعنى يكون: بأن السورة تبدأ بنداء من الله تعالى إلى سيدنا محمد ﷺ لأجل أن يخاطب الكافرين، وإن كان في هذا الخطاب استهزاء ضمني بما آلوا إليه من كفر، وبالتالي عاقبة وخيمة من جهة، إلا أن هذا الخطاب يحمل السماحة في إعطاء فرصة الخطاب الدعوي الرباني من جهة أخرى، ثم إن فحوى رسالة الخطاب هو المفاصلة العقدية، وذلك من خلال أن سيدنا محمدًا ﷺ لا يسلك عبادتهم ولا يقتدي بها، ثم يوجه الخطاب مباشرة لهم من قبل الرسول ﷺ، بما أُمِر به من قِبَل الله تعالى، وذلك أن هؤلاء الكفار لا يعبدون ما يعبد سيدنا محمد ﷺ، فهم لا يُقَاتَلُوْنَ في الدنيا طالما التزموا بالضوابط المتفق عليها،

---

(64) زاد المسير– جمال الدين ابن الجوزي– 499/4.

مع عدم رفع العقاب عنهم يوم القيامة، ثم يرجع التذكير لهم؛ لقصد التفاتهم إلى الحق، بأنَّ سيدنا محمدًا ﷺ لا يعبد ما يعبدون، مهما كانت المدة، فذلكم ولاء وبراء، ليس بيده أن يتنازل، وليس من حقه أن يتعاطى في تلك القضية المفصلية، ثم تعيد الآية لأجل الترسيخ في القلوب والأذهان، بأنهم لا يريدون أن يعبدوا ما يعبد سيدنا محمد ﷺ، ثم تحمل الآية الأخيرة من السورة تهديدًا ضمنيًّا لهم، مع سماحة عظيمة عبر الإمهال لأجل أن يتوبوا، فيقول الحق تبارك وتعالى: لكم شرككم الكفري، ولي توحيدي الإسلامي، وبالتالي فإن الكل سيقف بين يدي الله تعالى، فليحرص على حجته، وكيف سيرد على خالقه ﷻ[65].

المطلب الثاني: البر والقسط

عالج القرآن الكريم جوانب عظيمة، تدلل على عظيم الأخلاق التي دعا إليها الدين، ومن بين هذه الأخلاق التي عالجها البر والقسط، فقد قال تعالى: ﴿ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ﴾[النساء:135].

وقد خصَّ القرآن الكريم الأمر بالقسط مع المخالفين للدين، وذلك كما ورد في سورة الممتحنة الأمرُ الربانيُّ بالبر والقسط لأهل الكفر، فقد قال تعالى: ﴿چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ﴾ [الممتحنة:8،9]، فقد ذكرت الآيتان أن الله تعالى لا يحضنا على قتل المسالمين من الكفار من أهل مكة وغيرها، الذين لم يخرجونا من ديارنا، ونحن مطالبون تجاههم أن نبرَّهم ونقسط إليهم، فعلينا أن نفرق بين المعتدي والمخرج من الديار، وبين المسالم، فذلك هو القسط الذي أمرنا الله تعالى به، فالمعتدي والظالم وجبت على المسلمين مماثلتهم بعداوتهم، والبار والمقسط وجبت مماثلتهم بالبر والقسط[66]، ونلاحظ في هاتين الآيتين أن الآية الأولى ذكرت المسالمين مقترنًا معها البر والقسط، وذكر في الآية الثانية المعتدين مقترنًا معها النهي عن توليهم، رغم أن التولي لهم منهيٌّ عنه مع المسالمين أيضًا؛ لأن البطش والظلم الذي قد يقع من المعتدي يجعل إمكانية التولي لهم عند مرضى القلوب واردة.

وإن كلتا الآيتين تبينان عظيم سماحة الإسلام العظيم، سيما مع المخالفين لدين الإسلام، مما يعزز في قلوبنا جميعًا وجوب الافتخار بهذا الدين.

المطلب الثالث: الفرق بين السماحة والولاء مع المختلفين في الدين

---

(65) انظر: الصحيح المسبور- أ.د. حكمت بن بشير بن ياسين- 676/4، أوضح التفاسير- محمد الخطيب- ص764.

(66) انظر: جامع البيان- الطبري- 322/23، لطائف الإشارات- القشيري- 572/3.

أهل الحق عمومًا قائمون على تبليغ رسالة الإسلام وتعليمه للناس كافة، وتطبيقه في شتى مجالات الحياة، وليس معنى هذا أن يستكين المؤمن إلى أولئك المرجفين أو الأفَّاكين، أو أن يداهنهم، فإن السماحة تعني الصبر على الأذى مع علم أهل الحق أن الله تعالى على نصرهم لقدير، وفي حال قوتهم فإن العفو سلاحهم، مع وعيهم بضرورة هيبة الدعوة إلى الله تعالى، وسنركز خلال هذا المطلب على بيان الفرق بين السماحة والولاء مع المختلفين في الدين، وذلك فيما يأتي:

1. سبقت الإشارة في المبحث الثاني في المطلب الأول أنه جاء في سورة آل عمران الحديث عن مساومة مَكْرِيَّةٍ عرضها يهود خيبر على يهود المدينة، بأن يظهروا الإيمان بالقرآن أول النهار، ويكفروا آخره، مع طمأنة يهود خيبر ليهود المدينة بأنه لم يؤتَ أحد من الخلق جميعًا مثل ما أوتي اليهود، وبالتالي فإن يهود خيبر أحاطوا ذلك المكر بشتى مقومات السلامة على حسب ترتيبهم من أن يتأثر أحد من اليهود المطلوب منهم أن يخادعوا المؤمنين بالنبي محمد ﷺ ودعوته الحق، فلم يكن الرد القرآني مداهنة، ولا تنازلًا، وفي المقابل لم يكن الرد قاصمًا لكل جوانب الدعوة لهم، وإنما عالج تلك المساومة من خلال أن هذا القرآن هو هدىً من الله تعالى، مبينًا زيف ما يقولون، ثم بيَّن الله تعالى عبر خطابه لنبيه محمد ﷺ بأن فضل الله الذي هو الإسلام إنما هو بيد الله تعالى يؤتيه من يشاء، والله واسع عليم[67]، وبالتالي فإن وضوح الرؤية بين حال المخادعين، وحال المؤمنين لم يمنع من دعوتهم إلى الله تعالى رغم ما يمكرون من جهة، ولم يجعل السماحة تنجرُّ إلى مساحة الباطل ومداهنته من جهة أخرى، فالميزان الإيماني حسَّاس، لا يقدِّره إلا من أنار الله تعالى قلبه بالإيمان.

2. جاء في مطلع سورة القلم البيان الواضح للخلق العظيم الذي تمتع به سيدنا محمد ﷺ، وقد استغلَّت الكفار ذلك بمحاولات جعله يلين لهم، فعندها يلينوا كونهم حققوا ما يريدون، وذلك في الآيات التالية: (ڈ ژ ژ ڑ ڑ ۈ ک ک ک گ گ ۈ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ۈ ں ڻ ڻ ۈ ڈ ڈ ۈ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ۈ ۉ ې ې ى ى)[القلم:1-11]، حيث تبدأ السورة بذكر النون الذي قيل عنه الحوت الأعظم الذي على ظهره الأرضون السبع، وقيل: إنه من الحروف المقطعة التي استأثر الله تعالى بعلمه، ويقسم تعالى بالقلم الذي تكتب به الملائكة كتب الأعمال وما يؤمرون به، أو بالقلم الذي يكتب به البشر ما نزل من الكتب السماوية، وما وصلوا إليه من علوم، ثم يأتي جواب القسم من الله تعالى بأن سيدنا محمدًا ليس بنعمة ربه، وهي الهداية إلى الإسلام بمجنون، وهو ردٌّ ضمنيٌّ على كفار قريش، حينما رموه بالجنون، وتستكمل الآيات التسلية للنبي محمد ﷺ، وذلك كونه له أجر غير منقطع، وأنه على خلق عظيم، ونلاحظ هنا أن أساليب التوكيد كثيرة؛ لزيادة طمأنة قلب النبي محمد ﷺ، ثم يبين الله تعالى للنبي محمد

---

(67) انظر: تفسير القرآن العزيز- ابن أبي زمنين- 295/1، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- الواحدي- 217/1.

ﷺ بأنه شتان بينك وبين أولئك الكفار البعداء، فستبصر يا محمد ﷺ أنت وأمتك بأيكم الذي فُتِنَ، والجواب في الآية التي بعدها بأن ربك هو الأعلم بالذي ضل عن سبيله، وأن الله تعالى أعلم حيث يجعل رسالته، وما دام الأمر قد وضح لك يا محمد ﷺ ولأمتك، فلا تطع أولئك المكذبين من كفار قريش وغيرها، فهم قد ودُّوا لو يلاينهم أو يداريهم فعندها يميلون أيضًا إلى قوله ودينه، ولكن الدين لا يقبل التفاوض، ولا المداراة، فلا مجال للتغيير، أو التنازل عن الحق، فلا تطع يا محمد ﷺ – والخطاب منسحب إلى أمته– كثير الحلف كثير الإهانة من غيره، بأن يسودَّ وجهه فتكون عاقبته الذل والإهانة، فهو كثير الهمز، يعيب في شخص النبي محمد ﷺ في غيبته، وهو يمشي بين الناس بالنميمة(68).

وهذه الآيات –كما كثير من النماذج القرآنية المماثلة– توضح لنا الدقة القرآنية في التعبير بما لا ينقص من قدر السماحة، فهي منهج قرآني لا انفكاك عنه، ومع ذلك فإن الولاء لله تعالى منضبط جدًّا لا يستطيع أحدٌ أن يتقدم عليه إلا بما يرضي الله تعالى.

المبحث الخامس

سماحة الإسلام في العلاقات الاجتماعية

سبقت إشارتنا إلى أن سماحة الإسلام استوفت شتى المناحي، من بينها الاجتماعية، من خلال الحديث عن طبيعة العلاقة مع الوالدين، أو الآداب المرجوة من الأسرة، أو المجتمع، بما يظهر جانب

(68) انظر: المحرر الوجيز– ابن عطية– 345/5.

السماحة في الإسلام، وسنتكلَّم خلال هذا المبحث عن سماحة الإسلام في هذين الجانبين، والله الموفق والمستعان.

المطلب الأول: سماحة الإسلام مع الأسرة

وردت سماحة الإسلام في القرآن الكريم مع الأسرة عمومًا، إلا أنها أعطت مساحة بالدرجة الأولى للوالدَيْنِ، وذلك في السياقاتِ التاليةِ:

أولًا: في سياق الاقتضاء الرباني بوجوب عبادة الله تعالى وحده وبالوالدين إحسانًا، فقد ورد ذلك في سورة الإسراء، في قوله تعالى: **(** گ گ گ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﮮ ﯓ ﯔ ﯕ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې □ □ □ □ □ □ **)**[الإسراء:25].

التفسير الإجمالي للآيات:

حيث تبين هذه الآيات الكريمة أروع جوانب السماحة، فقد قضى ربُّنا ﷻ وأمر وألزم وأوجب ألَّا يُعْبَدَ أحدٌ إلا الله تعالى، وقرن الوالدين قبل الأمر بالإحسان إليهما ملتصقًا بذات الله تعالى؛ لأن الله تعالى هو الذي أوجد الإنسان، وهيَّأ له السبب في وجوده، وهو الوالدان، وقد خص البر بالكِبَرِ أحدهما أو كليهما؛ لأنهما في تلك المرحلة العمرية بأمس الحاجة إلى المساعدة، وبالتالي فإن التشديد في هذه الآية في التقدير والتكريم للوالدين دالٌّ على عظيم السماحة، مع أولى الخلق بالرعاية والبر والإحسان؛ إذ إنه لا يحق لأحد أن يتلفظ بأصغر ألفاظ التضجر، وهي أُفٍّ، وما فوقها أولى بالنهي، وبالتالي فإنه ينبغي القول الكريم الطيب، وأن يتذلل وينكسر لهما، ويخفض الجناح كناية عن الذل والخنوع، وأن يترحَّم عليهما، كما ربياه حال كونه صغيرًا، ثم ذكر أن الربَّ ﷻ هو الأعلم بما في النفوس، من اعتقاد الرحمة بهما والحنان عليهما، أو من غير ذلك من العقوق، فإن يكون هؤلاء الأولاد صادقين في نية البر للوالدين، فإن الله تعالى كان غفورًا للزلات التي قد تصدر من الأولاد شرط الصلاح والتوبة[69].

ولفظة (قضى) بمعنى أمر، وبمعنى وصَّى، كما ورد في القراءات التفسيرية لابن عباس، وابن مسعود، وأبي بن كعب رضي الله عنهم أجمعين، وكما ورد في آيات أخرى، مثل قوله تعالى: **(**ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ...**)**[لقمان:14]، وقوله تعالى: **(**ٺ ٺ ٿ ٿ ...**)**[العنكبوت:8]، وقوله تعالى: **(**ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ ...**)**[الأحقاف:15][70].

وتظهر روعة السماحة، في أهمية حفظ الفضل لمن كانا سبب وجود الإنسان، وهما الوالدان، اللذان أوضح القرآن الكريم كل جوانب البر لهما في كتابه، كما بينت هذه الآية والآيات الأخرى، التي ذكرنا شطرها في اللطيفة السابقة.

---

(69) انظر: الجامع لأحكام القرآن- القرطبي- 137/10.

(70) انظر: المصدر السابق نفسه- الصفحة نفسها.

ثانيًا: في سياق بنود الميثاق، الذي أُخِذَ على بني إسرائيل، كما في قوله تعالى: (ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ﯦ ﯧ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □) [البقرة:83]، حيث تبين هذه الآية الكريمة أن البند الثاني من الميثاق هو الإحسان إلى الوالدين إحسانًا، وذلك بعد توحيد الله تعالى في ألوهيته، ومن الجميل في هذه الآية أن إعراب (إحسانًا) في هذه الآية أنها منصوبة على المصدرية، فهي مفعول مطلق للفعل المحذوف المقدَّر بـ (تحسنوا) المعطوف على الجملة (لا تعبدون إلا الله)، المضمر (أن) فيها، فيكون التقدير في الآية (وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل بألَّا تعبدوا إلا الله، وبأن تحسنوا إلى الوالدين إحسانًا)، وفي سياق الآية حذف؛ لحِكَمٍ يعلمها الله تعالى، وقد جاء في بيان سبب ذكر الله تعالى، بعدها مباشرة، بأن الله تعالى هو الذي هيَّأ الأسباب، وهي الوالدين(71).

ثالثًا: في سياق بيان المحرَّمات، جاء الأمر بالإحسان إلى الوالدين، كما في قوله تعالى: (ۓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ﯦ ﯧ □ ى ى ﯾ ﯿ □ □ □ □)[الأنعام:151]، حيث جاء ذكر المحرمات التي حرَّمها الله تعالى بصيغة النهي، في كل الجوانب المحرَّمة المذكورة، إلا الوالدان، فإنها جاءت بالأمر بالإحسان إليهما، إذ لا يكفي أن يُخبَر به كعقوق محرَّمة، بل ينبغي أن يبين حقهما بالكامل، عبر الإحسان إليهما، وليس مجرَّد الأداء(72).

وأما باقي أفراد الأسرة، فقد ذكر القرآن الكريم الأمر بإعطائهم حقوقهم، ومن ذلك:

- قوله تعالى في حق وأد البنات: (ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ)[التكوير:8،9]، حيث تذكر هاتان الآيتان الكريمتان خطر الوأد للبنات؛ فالموقف خاص بيوم القيامة، وبالتالي فإن التحذير من الوأد يأتي ببيان العاقبة الأُخْرَوِيَّةِ، ومن ثم يغلب على طابع السياق مخاطبة للضمير الإنساني، وقد ذكر هذا التحذير في أكثر من موضع من القرآن الكريم، في سياقات متعددة، منها، قوله تعالى: (... ۋ ۋ ې ې ﯦ ﯧ □ □ □ □ ...)[الأنعام:151]، ولا تقتلوا أولادكم، سيما البنات بسبب الفقر، فإن الله تعالى تكفَّل للآباء بالرزق في الكبر حالة الشيخوخة، وبالتالي للأولاد حالة الشباب؛ إذ إنه تكون البنت بعد فضل الله تعالى سببًا لرزق الآباء(73)، كما جاء في سورة الإسراء بيان الكفالة الثانية للأولاد حالة الطفولة،

---

(71) انظر: جامع البيان- الطبري- 290/2، الجامع لأحكام القرآن- القرطبي- 13/2.

(72) انظر: زاد المسير- جمال الدين ابن الجوزي- 91/2، مفاتيح الغيب- الرازي- 177/13.

(73) انظر: الدر المصون- السمين الحلبي- 218/5.

إذ يكون الآباء شبابًا، وذلك في قوله تعالى: ﴿ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﴾[الإسراء:31]، فالنهي عن قتل الأولاد خشية الفاقة والفقر؛ فإن قتلهم كان إثمًا عظيمًا(74).

- وجاء في حق الأقارب عمومًا، برفع الحرج عن إبداء زينة المرأة عند بعضهم: ﴿ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ □ ﯨ ﯩ □ □ □ □ ﯪ ﯫ □ □ □ ﴾[النور:31]، فإن هذه الآية تبين جوانب من السماحة في العلاقة بين الأرحام؛ لأجل ألَّا تشيع الرذيلة، وبالتالي إذا أُمِنَت عبر المحارم، وضمن الضوابط التي ذكرتها الآية وشرحتها السنة، فعندها ما جعل الله علينا في الدين من حرج، فإن هذه الآية الكريمة عالجت الأمراض القلبية، والفعلية، وكافة أشكال المتاعب التي تنجم عن تلك المحظورات، بما يعزز السماحة في شتى مناحيها(75).

ويمكن الوصول في خاتمة هذا المطلب إلى نتيجة، وهي أن القرآن الكريم عالج جانب السماحة مع الأسرة في شتى الجوانب، وترك للسنة النبوية شرح ما أَجْمَلَ ذِكْرَهُ، ولأن دراستنا هذه تفسيرية قرآنية، فإننا اكتفينا بذكر ما أوضح القرآن ذكره، ومقاصده العامة، مع اليقين التام بأنه لم يخلُ جو السماحة في الأسرة، حتى في القسوة الظاهرة، فهي لأجل الرحمة.

المطلب الثاني: سماحة الإسلام مع المجتمع

بيَّن الله تعالى في كتابه أن المؤمنين الذي يحبُّهم ويحبونه من أخص خصوصياتهم أنهم أذلة على المؤمنين؛ لكنهم في نفس الوقت أعزة على الكافرين، وذلك في قوله تعالى: ﴿ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﴾[المائدة:54].

التفسير الإجمالي للآية:

إن الله تعالى أنبأ في هذه الآية الكريمة عن قصة أبي بكر الصديق البطولية في حرب أهل الردة، فإن هذه الآية تفترض أنه إن ارتدَّ أحدٌ عن الإسلام، كالذين فرَّقوا من المرتدين بين الصلاة والزكاة، فإن الله تعالى سوف يأتي بقوم، أمثال أبي بكر الصديق ومن تبعه بعد عزمه الأكيد، هؤلاء القوم يتمتعون بصفات، منها: أنهم أصفياء الصدور، ملتصقون بالله تعالى في شتى مناحي حياتهم، وبالتالي فإن الله تعالى يحبهم، وتحصيل حاصل فإنهم يحبون الله ﷻ، وهم مع ذلك ليِّنوا الجانب، في أقوالهم وهيئاتهم مع المؤمنين، وبالتالي يحافظون على سلامة المجتمع من التفكك، وتحصين الجبهة الداخلية للمؤمنين، وهم يتعالون عن الهفوات،

---

(74) انظر: الدر المنثور- السيوطي- 278/5.

(75) انظر: لطائف الإشارات- القشيري- 607/2.

التي قد تصدر من البعض، وفي مقابل ذلك، فهم أشداء في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم على الكفار، فلا مداهنة ولا مجاملة لأولئك البعداء، ودليل ذلك أنهم يجاهدون في سبيل الله تعالى وحده، ولا يخافون لومة لائم من الناس عمومًا، وكل هذه الشمائل والصفات الخيِّرة إنما هي بفضل من الله تعالى وحده، والله واسع عليم[76].

وهذه الآية لا تتكلم عن جانبٍ حدث، أو سيحدث في حياته، وإنما تتكلم عن جانبٍ سيحدث بعد وفاته ﷺ، وبالتالي فإن هذه الآية مدحٌ ضمنيٌّ لسيدنا أبي بكر الصديق ﷺ، ومن ثم الصحابة الكرام ﷺ.

وجاء في لفظة (يرتدَّ) قراءتان، هما (يرتدد) حيث قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي، و(يرتدَّ) التي ذكرناها، حيث قرأ بها نافع وابن عامر وأبو جعفر[77]، وكلتاهما لغتان؛ حيث إنه من شدَّد الدال وأدغمها قرأ بها على لغة من لغات العرب، وكذلك من خفف الدال، ولم يدغمها، وحرَّك الدَّالين[78].

ويلاحظ أن هذه الآية فسَّرت الرحمة المذكورة في آية الفتح بأنها الذلة، ففي قوله تعالى: ﴿ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ... ﴾[الفتح:29]، دليلٌ عمليٌّ على ضرورة أن يغلب على المجتمع المؤمن الرحمة فيما بينهم، والتي تعني الذلة، بأن يعفو بعضهم عن زلات بعض، فهم فيما بينهم أولياء لبعضهم بعضًا، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ھ ھ ھ﴾[التوبة:71].

وإن الرجولة الحقيقية –كما تذكر الآية– ليست في العزة على المؤمنين، بل في الذلة لهم، ومن ثم الشدة على الكفار، وعدم الخوف من لوم الناس لهم في جهادهم ضد الباطل، وبهذا تتجسَّد السماحة بحقيقتها في المجتمع المسلم؛ إذ إن المؤمن يجتهد في أن تكون دعوته إلى ربه تعالى مشتملة على شتى معاني الحب والحنان والاحترام لكل أبناء المجتمع الإسلامي.

ويقول تعالى: ﴿□ ى ى ي ي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ۞ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ۞ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ

(76) انظر: تفسير القرآن– السمعاني– 47/2، تفسير الراغب– 379/4، الكشاف– الزمخشري– 643/1.

(77) انظر: السبعة في القراءات– ابن مجاهد– ص245، المبسوط في القراءات العشر– ابن مهران الأصبهاني– ص186.

(78) انظر: معاني القراءات– الأزهري– 334/1، الحجة في القراءات السبع– ابن خالويه– ص132، الحجة للقراء السبعة– أبو علي الفارسي– 232/3.

ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ[الحُجرات:11-13]، فالقرآن الكريم منع الاستهزاء من المؤمنين لبعضهم بعضًا، ولا التنابز بالألقاب فقد يكون ذلك موصلًا إلى الفسوق ، ومنع كذلك الظن السوء بالمجتمع المسلم، مع ما يجره من تجسس، وغيبة، وبالتالي فإن هذا كله يودي بحياة مجتمع الفضيلة، ولذلك فإن القرآن يستدرك ببيان أن معيار الأكرم هو الأتقى، وبالتالي لا بدَّ من التوحد بين أوساط المجتمع، فإن تقسيم المجتمع إلى شعوب وقبائل، لا يجمعه إلا الإيمان، وعلى ذلك فإن جانب السماحة لا بد أن يسود هذا المجتمع؛ حتى يسود النظام الإسلامي الذي يستوفي شتى متطلباته عن طيب نفس من الجميع[79]، وهذا هو تحكيم الشريعة على حقيقتها.

لقد سطَّر الإسلام أروع معاني إحسان الظن، والعفو عمَّن أساء الظن، وليس أدلَّ على ذلك من حادثة الإفك، وبالتالي فإن الله تعالى خلَّد ذكر هذه القصة بتفصيلاتها في سورة النور، ومنها قوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ[النور:12].

المبحث السادس

السماحة في الخصومات

المطلب الأول: مقابلة الإساءة بالإحسان

المجتمع المسلم متسامح فيما بينه بطبعه، ومن علامات السماحة، أنه يقابل الإساءة بالإحسان، وسيمثل هذا المطلب – إن شاء الله- نموذجًا قرآنيًّا يوضح معالم الإحسان في مقابل الإساءة، وذلك في قوله تعالى: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ[الأعراف:199]، حيث تبين هذه الآية أنه في سياق بناء المجتمع الإسلامي على أروع معاني إرساء الفضيلة، تبين هذه الآية الكريمة خلقًا عظيمًا، وهو العفو، فكما بينت الآية السابقة أن الكفار إن يُدْعَوا من قبل الرسول ﷺ، لا يسمعوا، وهم ينظرون إليه ﷺ، ولكنهم لا يبصرون الحق، وبالتالي عدم الالتزام في القلب ولا في القول ولا في العمل للنبي محمد ﷺ ودعوته، وتأتي هذه الآية الكريمة لتأمر النبي محمدًا ﷺ، على وجه الإلزام والإيجاب بالعفو، الذي هو من ألفاظ الأضداد، فهو محو سيئاتهم من ذاكرته ﷺ، وفتح صفحة جديدة، وهو أيضًا العفو الذي هو بمعنى الفضل والزيادة[80]، فالمقصود إذًا في هذه الآية الكريمة أن يأخذ الرسول ﷺ الخير من حياة الناس في أخلاقهم وأعمالهم، في كافة أوساط المجتمع المسلم، وذلك بعد التصفية والتنقية، عليك أن تأمر بالمعروف كله، وحتى لا تتأثر

---

(79) انظر: جامع البيان- الطبري- 297/22، تفسير القرآن العزيز- ابن أبي زمنين- 263/4.

(80) سبقت الإشارة إلى تعريف العفو في المطلب الثالث من المبحث الأول.

نفسية الداعية سلبًا تجاه أهل السوء يجب الإعراض عن الجهلة، الذين يفسدون المجالس بسوء نية أو بسوء عملٍ، أو بكليهما[81].

المطلب الثاني: السماحة في الحقوق

إن السماحة ما تركت مجالًا من المجالات إلا كانت الركن الأساس في روحه وجوهره، ومن ذلك الحقوق، وسيمثل هذا المطلب – إن شاء الله– تفرعين حقوقيين، هما:

أولًا: في فرع القصاص:

من سماحة الإسلام أنه جعل القصاص حقًّا لمن وقع عليه الظلم بما يوجب حدًّا؛ لكنه ذكر ضابط القصاص، وهو ما يعني المماثلة في العقاب دون إسراف، كما في قوله تعالى: **(ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ)** [الإسراء:33]، فقد بينت الآية أنه لا يجوز قتل النفس عمومًا، فكلها حرَّم الله قتلها إلا بحقها، وحق النفس في قتلها لا يكون إلا بإحدى ثلاث، وهو ما ذكر في الحديث المتفق عليه، عن عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **"لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلاَثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ"**[82]، وتبين الآية أيضًا أن الذي يُقْتَلُ عمدًا من غير هذه المسوغات الثلاثة، فقد جعل الله تعالى له وليًّا، وهو ورثته مهما تعددت، وبالتالي يكون القاضي هو السلطان، يخير الأولياء بين القصاص من القاتل نفسه دون إسراف إلى غيره، أو الدية، وتسمى الدية في هذه الحالة عفوًا، لأنها محوٌ لحكم القتل الذي هو قصاص[83]، ويدل على ذلك قوله تعالى: **(ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ)** [البقرة:178]، فالعفو هنا ترك الدم، وبقاء الدية[84]، فالأمر حينها لأهل القاتل العمد بالأداء الحسن لهذه الدية، واتباع المعروف، أي: المطالبة بالدية من أهل المقتول[85].

---

(81) انظر: تفسير القرآن العزيز– ابن أبي زمنين– 162/2، بحر العلوم– السمرقندي– 576/1.

(82) صحيح البخاري– كتاب الديات– باب قول الله تعالى: **(...ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ)**[المائدة:45]- 5/9- حديث رقم (6878)، صحيح مسلم– كتاب الأيمان– باب ما يباح به دم المسلم– 1302/3- حديث رقم (1676).

(83) انظر: جامع البيان– الطبري– 440/17، أحكام القرآن– الكياالهراسي– 259/4.

(84) انظر: معاني القرآن وإعرابه– الزجاج– 248/1.

(85) انظر: المصدر السابق نفسه– الصفحة نفسها.

ثانيًا: في فرع الدعاوي والاقتضاء

قصة بني أبيرق، التي تدلل على عظيم سماحة الإسلام، وبقيت الآيات الاثنتا عشرة شاهدًا حيًّا على تلك السماحة، في أروع قسطٍ عرفه التاريخ، وذلك في قوله تعالى: (ٻ ٻ □ □ □ □ □ □ □ □ □
□ □ □ □ □ □ ۞ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پ ۞پ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ
۞ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڃ ڃ ڃ ڃ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڇ ڇ ۞ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ
ڑ ک ک ک ک گ ۞گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ۞ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ
۞ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۞ۋ ۋ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې □ □ □ □ □ □ □
□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ى ى ي ي □ □ □ ۞ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ
ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ۞ڤ ڤ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ
ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ۞ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ
)[النساء:105-116].

سبب نزول الآيات:

عن قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ ﵁، أن بَنِي أُبَيْرِقٍ بِشْرًا وَبُشَيْرًا وَمُبَشِّرًا، وَكَانَ أحدهم مُنَافِقًا يَهْجُو بِشعره أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ يَنْحَلُهُ بَعْضَ العَرَبِ، ثُمَّ يَقُولُ: قَالَ فُلَانٌ كَذَا وَكَذَا، فَإِذَا سَمِعَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَلِكَ الشِّعْرَ قَالُوا: وَاللَّهِ مَا يَقُولُ هَذَا الشِّعْرَ إِلَّا هَذَا الخَبِيثُ، أَوْ كَمَا قَالَ الرَّجُلُ، وَقَالُوا: ابْنُ الأُبَيْرِقِ قَالَهَا، قَالَ: وَكَانُوا أَهْلَ بَيْتِ حَاجَةٍ وَفَاقَةٍ، فِي الجَاهِلِيَّةِ وَالإِسْلَامِ، وقد ابْتَاعَ رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ بضاعةً، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى رِفَاعَةُ إلى قتادة بن النعمان، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي إِنَّهُ قَدْ اعتدِيَ عَلَيْنَا فِي لَيْلَتِنَا هَذِهِ، فَنُقِبَتْ مَشْرَبَتُنَا فَذُهِبَ بِطَعَامِنَا وَسِلَاحِنَا. قَالَ: فَتَحَسَّسْنَا فِي الدَّارِ وَسَأَلْنَا فَقِيلَ لَنَا: قَدْ رَأَيْنَا بَنِي أُبَيْرِقٍ اسْتَوْقَدُوا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَلَا نَرَى فِيمَا نَرَى إِلَّا عَلَى بَعْضِ طَعَامِكُمْ، قَالَ: وَكَانَ بَنُو أُبَيْرِقٍ قَالُوا وَنَحْنُ نَسْأَلُ فِي الدَّارِ: وَاللَّهِ مَا نُرَى صَاحِبَكُمْ إِلَّا لَبِيدَ بْنَ سَهْلٍ، رَجُلٌ مِنَّا لَهُ صَلَاحٌ وَإِسْلَامٌ، فَلَمَّا سَمِعَ لَبِيدٌ اخْتَرَطَ سَيْفَهُ وَقَالَ: أَنَا أَسْرِقُ؟ فَوَاللَّهِ لَيُخَالِطَنَّكُمْ هَذَا السَّيْفُ أَوْ لَتُبَيِّنُنَّ هَذِهِ السَّرِقَةَ، قَالُوا: إِلَيْكَ عَنْهَا أَيُّهَا الرَّجُلُ فَمَا أَنْتَ بِصَاحِبِهَا، فَسَأَلْنَا فِي الدَّارِ حَتَّى لَمْ نَشُكَّ أَنَّهُمْ أَصْحَابُهَا، فَقَالَ لِي عَمِّي: يَا ابْنَ أَخِي لَوْ أَتَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْتَ ذَلِكَ لَهُ، قَالَ قَتَادَةُ: فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: إِنَّ أَهْلَ بَيْتٍ مِنَّا أَهْلَ جَفَاءٍ، عَمَدُوا إِلَى عَمِّي رِفَاعَةَ بْنِ زَيْدٍ فَنَقَبُوا مَشْرَبَةً لَهُ، وَأَخَذُوا سِلَاحَهُ وَطَعَامَهُ، فَلْيَرُدُّوا عَلَيْنَا سِلَاحَنَا، فَأَمَّا الطَّعَامُ فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (سَآمُرُ فِي ذَلِكَ)، فَلَمَّا سَمِعَ بَنُو أُبَيْرِقٍ أَتَوْا رَجُلًا مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ: أُسَيْرُ بْنُ عُرْوَةَ فَكَلَّمُوهُ فِي ذَلِكَ، فَاجْتَمَعَ فِي ذَلِكَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الدَّارِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ قَتَادَةَ بْنَ النُّعْمَانِ وَعَمَّهُ عَمَدَا إِلَى أَهْلِ بَيْتٍ مِنَّا أَهْلِ إِسْلَامٍ وَصَلَاحٍ، يَرْمُونَهُمْ بِالسَّرِقَةِ مِنْ غَيْرِ بَيِّنَةٍ وَلَا ثَبَتٍ، قَالَ قَتَادَةُ: فَأَتَيْتُ الرَسُولَ ﷺ فَكَلَّمْتُهُ، فَقَالَ: (عَمَدْتَ إِلَى أَهْلِ بَيْتٍ ذُكِرَ مِنْهُمْ إِسْلَامٌ وَصَلَاحٌ تَرْمِيهِمْ بِالسَّرِقَةِ عَلَى غَيْرِ ثَبَتٍ وَبَيِّنَةٍ)، قَالَ: فَرَجَعْتُ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي خَرَجْتُ مِنْ بَعْضِ مَالِي وَلَمْ أُكَلِّمْ رَسُولَ اللَّهِ

ﷺ فِي ذَلِكَ، فَأَتَانِي عَمِّي رِفَاعَةُ فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي مَا صَنَعْتَ؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: اللَّهُ المسْتَعَانُ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ نَزَلَ القُرْآنُ بهذه الآيات(86).

وقد حفل القرآن الكريم بذكر جوانب عديدة من السماحة في الخصومات، بما يعزز جانب الأخلاق الرفيعة التي حظيت بها دعوة الإسلام.

المبحث السابع

جزاء أهل السماحة في الدنيا والآخرة

بعد استعراض بعض من مباحث ومطالب هذا البحث ظهر أن روح السماحة كان في الجو العام للآيات القرآنية، وكان من الطبيعي أن يورث هذا الموضوع ثمرات لمن يلتزمون خط السماحة في دراستهم القرآنية، وسيدرس هذا المبحث – إن شاء الله- جزاء أهل السماحة في الدنيا والآخرة، والله المستعان.

أولًا: الجزاء في الدنيا

1. السمعة الطيبة، والمناقب الحسنة، وهو ما يوضحه قوله تعالى: ﴿ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ﴾[آل عمران:159]، فإن مفهوم المخالفة أن السمعة الطيبة والمناقب الحسنة، كانت بسبب سماحة الرسول ﷺ، في تعامله مع المسلمين، رغم مخالفتهم لاجتهاد الرسول ﷺ في قضية القتال داخل المدينة أو خارجها يوم أحد، فأراد الرسول ﷺ أن يعلمهم درسًا عمليًّا مؤلماً بوجوب الالتزام بأمره ﷺ، وعدم النزول عند آرائهم؛ لأنها النبوة، وما أن تكشَّفت نتائج المعركة، حتى لان في القول، وأصبح يخفف عنهم، ويؤمر بالعفو عنهم والاستغفار، ومن ثم معاودة مشاورتهم؛ لكن إذا عقد العزم على القيام بالمهمة، فليقم بها، وليتوكل على الله تعالى وحده(87).
2. دفع الأذى بجميع مناحيه عن أهل السماحة، ويوضح ذلك قوله تعالى: ﴿ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ﴾[الحِجر:94،95]، فإن الصدع بالحق، والالتزام بما أُمِر به النبي ﷺ أكبر دليل على السماحة، فهم قد تجرؤوا في ارتكاب الباطل كثيرًا، والتبجح، ومع ذلك فالأمر للنبي محمد ﷺ

---

(86) انظر: سنن الترمذي- أبواب تفسير القرآن- باب ومن سورة النساء- 244/5- حديث رقم (3036)- قال الألباني: حسن، المحرر في أسباب النزول- خالد المزيني- 439/1.

(87) انظر: جامع البيان- الطبري- 340/7، الكشف والبيان- الثعلبي- 190/3.

بالانضباط العالي بتعاليم الحق، والبشرى له ﷺ بأن الله تعالى كفاه المستهزئين، فذلك ثمرة من ثمرات السماحة التي تحلى بها خير الخلق، وحبيب الحق محمدﷺ[88].

3. زيادة الإيمان في القلب، فإن الصحابة ﷺ في حمراء الأسد حينما قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم، وهم كفار قريش، لم يضعف أملهم في الانتقام مما حدث في غزوة أحد، أو يداخلهم الرعب، وإنما لجأوا إلى الله تعالى، واكتفوا بالله تعالى حسيبًا ونصيرًا، فكانت النتيجة أنهم أصيبوا بالنعم الجمة، ولا يمسهم السوء، وأنهم هدوا إلى رضوان الله تعالى[89]، كما قال تعالى: ﴿ ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ﴾[آل عمران:173،174].

4. الهداية إلى القول الحسن، كما قال تعالى: ﴿ ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ﴾[الحج:23،24].

5. الوقاية من المكر الذي يحيكه الكفار، كما في قصة مؤمن آل فرعون.

ثانيًا: الجزاء في الآخرة:

1. الهداية إلى صراط الحميد، كما ذكرت الآية السابقة.
2. الدخول في الجنة، كما سبقت الإشارة في قصة حبيب النجار.
3. الرضا من الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ۉٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ﴾[البيِّنة:7،8].

وغير ذلك من الفضائل التي تدلل على أن القرآن الكريم بيَّن ثمرات أهل السماحة في الآخرة، كما بيَّنها في الحياة الدنيا.

---

(88) انظر: تفسير القرآن العزيز- ابن أبي زمنين- 392/2.

(89) انظر: تفسير القرآن العظيم- ابن أبي حاتم- 817/3.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من أُوتي جوامع الكلم، فلم يبخل بالدعوة إلى الله تعالى، وعلى آله وصحبه الطيبين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد،

فإنه بعد الدراسة المستفيضة في حيثيات موضوع السماحة في ضوء الدراسة القرآنية، ظهرت أهم النتائج والتوصيات، وذلك فيما يأتي:

أولًا: أهم النتائج

1. القرآن الكريم عالج موضوع السماحة، وقد أظهرت الدراسة كثيرًا من الجوانب، التي لربما يعتبرها الإنسان من الوهلة الأولى بعيدة عن السماحة، لكنها بدت ظاهرةً مما يؤكد عظمة القرآن في سماحته، التي لا حدَّ لها، ومنها آيات القتال.
2. إن السماحة تشمل كل جوانب الأخلاق، وتستوفي كافة الأحكام الشرعية والعقدية، وبالتالي فإن تعريف السماحة تعريفٌ لا يقف عند علم من علوم الدين، ولا ممارسة من الممارسات الإيمانية.
3. تنوع علاج السماحة في القرآن، فتارةً يكون عبر قصة، كقصص الأنبياء والصالحين، وتارةً يكون عبر مفهوم المخالفة، وتارة يكون عبر الرد على الكفار، وتارة عبر طبيعة الألفاظ، والنظم، والمقاصد.
4. لا وقت معينٌ لاستخدام السماحة، فالإسلام قد أمر بالعدل والقسط مع الكافر، حتى لو كانت الأمة الإسلامية في حالة ضعف من حيث القدرة، كما كانت الحال في قصة بني أبيرق.
5. لتذوُّق السماحة، كان لا بدَّ من تتبع الموضوع الواحد في كافة تفرعاته، مع الأخذ بعين الاعتبار، عدم القناعة المسبقة بأن السماحة تعني الاستكانة، بل هي منهج رباني، مفهومه وغاية إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

ثانيًا: التوصيات:

1. رسالة إلى جميع الباحثين، والمختصين، والخطباء، والوعاظ عمومًا أن يولوا هذا الموضوع أهمية بالغة، وأن يعطوه حيزًا كافيًا من جهدهم؛ حتى يعتز جميع المسلمين بهذا الدين، بعد معرفة روحه، الذي لا يدعو إلا إلى الله تعالى، دونما نظر إلى الإسلام، على أنه متَّهم.
2. الأمل من أقسام الدراسات الإسلامية في الجامعات، ومراكز البحوث أن يقدِّموا خططًا لمؤتمرات علمية عن هذا الموضوع، تتناول جميع زواياه التفسيرية، والحديثية، والعقدية، والفقهية، ومن ثم النماذج من التاريخ الإسلامي لهؤلاء المتسامحين، بما يمثل موسوعة ضخمة لهذا الموضوع، الذي يستحق — بتقديرنا– هذا الجهد المطلوب.
3. النصيحة بترجمة هذا الموضوع إلى لغات أخرى؛ ليفهم الغرب أن ديننا هو دين التسامح، وليس دينًا إرهابيًّا كما يتصورون.

فهرس المصادر والمراجع

1. **الإتقان في علوم القرآن**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/ 1974 م.
2. **أحكام القرآن**، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (المتوفى: 370هـ)، تحقيق: محمد صادق القمحاوي - عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، دار إحياء التراث العربي – بيروت،1405 هـ.
3. **أحكام القرآن**، علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، المعروف بالكياالهراسي الشافعي (المتوفى: 504هـ)، تحقيق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:2، 1405 هـ.
4. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت.
5. **أسباب نزول القرآن**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (المتوفى:468هـ)، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح- الدمام، ط:2، 1412هـ- 1992م.
6. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: 1393هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، 1415هـ- 1995م.
7. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط:2، 1418هـ.
8. **أوضح التفاسير**، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (المتوفى: 1402هـ)، المطبعة المصرية ومكتبتها، ط:6، رمضان 1383 هـ - فبراير 1964 م.
9. **بحر العلوم**، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 373هـ).

10. **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: 1224هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، ط: 1419 هـ.

11. **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

12. **التحرير والتنوير**، الإمام الشيخ: محمد الطاهر، ابن عاشور، الدار التونسية للنشر- تونس، 1984م.

13. **التعريفات**، السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط: 1، 1403هـ -1983م.

14. **تفسير الراغب الأصفهاني**، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ)، جزء 1: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب - جامعة طنطا، ط:1، 1420 هـ - 1999 م، جزء 2، 3: من أول سورة آل عمران - وحتى الآية 113 من سورة النساء، تحقيق ودراسة: د. عادل بن علي الشِّدِي، دار الوطن – الرياض، ط:1، 1424 هـ - 2003 م، جزء 4، 5: (من الآية 114 من سورة النساء - وحتى آخر سورة المائدة)، تحقيق ودراسة: د. هند بنت محمد بن زاهد سردار، كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى، ط:1، 1422 هـ - 2001 م.

15. **تفسير الشعراوي – الخواطر**، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ)، مطابع أخبار اليوم.

16. **تفسير القرآن**، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض- السعودية، ط:1، 1418هـ-1997م.

17. **تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)**، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: 660هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم – بيروت، ط:1، 1416هـ/ 1996م.

18. **تفسير القرآن العزيز**، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: 399هـ)، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة – مصر/ القاهرة، ط:1، 1423هـ – 2002م.

19. **تفسير القرآن العظيم**، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز– المملكة العربية السعودية، ط:3، 1419 هـ.

20. **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط:2، 1420هـ – 1999 م.

21. **التفسير الميسر**، نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية، ط:2، مزيدة ومنقحة، 1430هـ – 2009 م.

22. **تهذيب اللغة**، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي– بيروت ط:1، 2001م.

23. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى:1376هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط:1، 1420هـ– 2000م.

24. **جامع البيان في تأويل القرآن**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط:1، 1420 هـ – 2000 م.

25. **الجامع الكبير – سنن الترمذي**، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، 1998 م.

26. **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط:2 ، 1384هـ - 1964 م.

27. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)**، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ، ط: 1، 1422هـ.

28. **الحجة في القراءات السبع**، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: 370هـ)، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم الأستاذ المساعد بكلية الآداب - جامعة الكويت، دار الشروق – بيروت، ط:4، 1401 هـ.

29. **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: 756هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم- دمشق.

30. **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، دار الفكر – بيروت.

31. **زاد المسير في علم التفسير**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت،ط:1، 1422 هـ.

32. **الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي**، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، تحقيق: مسعد عبد الحميد السعدني، دار الطلائع.

33. **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط:1، (لمكتبة المعارف).

34. **سنن ابن ماجه**، ابن ماجه – وماجة اسم أبيه يزيد – أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: 273هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد – محمَّد كامل قره بللي – عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط:1، 1430هـ – 2009م.

35. **سنن أبي داود**، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ)، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط:1، 1430هـ- 2009م.

36. **السنن الكبرى**، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط:1، 1421هـ – 2001م.

37. **صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري**، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ)، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط:4، 1418 هـ – 1997م.

38. **سماحة الإسلام في التعامل مع غير المسلمين**، أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، عدد صفحات (الكتاب الورقي) : 28.

39. **سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله والعلاقات الإنسانية منهاجًا ... وسيرة**، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: 1429هـ)، مكتبة وهبة، ط:1، 1414 هـ – 1993 م.

40. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة – بيروت،1379، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

41. **فتح القدير**، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط:1، 1414 هـ.

42. **القاموس المحيط**، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان، ط:8، 1426هـ-2005م.

43. **كتاب السبعة في القراءات**، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (المتوفى: 324هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، ط:2، 1400هـ.

44. **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط:1، 1422هـ - 2002 م.

45. **لباب التأويل في معاني التنزيل**، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ)، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين: دار الكتب العلمية – بيروت، ط:1، 1415 هـ.

46. **لباب النقول في أسباب النزول**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، ضبطه وصححه: الأستاذ أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، هاتف: 801332 - 805604 – 800842 ، ص ب: 9424 / 11 تلكس: 41245.

47. **لسان العرب، محمد بن مكرم بن على**، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور، دار صادر- بيروت، ط: 3، 1414 هـ.

48. **اللباب في علوم الكتاب**، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: 775هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ط:1، 1419 هـ -1998م.

49. **المبسوط في القراءات العشر**، أحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابوريّ، أبو بكر (المتوفى: 381هـ)، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، مجمع اللغة العربية – دمشق، 1981 م.

50. **مجمل اللغة**، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط:2، 1406 هـ - 1986 م.

51. **محاسن التأويل**، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:1، 1418 هـ.

52. **المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية**، خالد بن سليمان المزيني، دار ابن الجوزي، الدمام – المملكة العربية السعودية، ط:1، 1427 هـ – 2006 م.

53. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط:1، 1422 هـ.

54. **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: 544هـ)، المكتبة العتيقة ودار التراث.

55. **معاني القرآن وإعرابه**، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط:1، 1408 هـ - 1988 م.

56. **معاني القرآن**، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: 207هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط:1.

57. **معاني القراءات**، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط:1، 1412 هـ – 1991 م.

58. **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

59. **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط:3، 1420 هـ.

60. **المفردات في غريب القرآن**، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط:1، 1412 هـ.

61. **المُنَجَّد في اللغة (أقدم معجم شامل للمشترك اللفظي)**، علي بن الحسن الهُنائي الأزدي، أبو الحسن الملقب بـ «كراع النمل» (المتوفى: بعد 309هـ)، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، دكتور ضاحي عبد الباقي، عالم الكتب– القاهرة، ط:2، 1988م.

62. **موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور**، أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة– المدينة النبوية، ط:1، 1420 هـ - 1999 م.

63. **الموسوعة القرآنية**، إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (المتوفى: 1414هـ)، مؤسسة سجل العرب، 1405هـ.

64. **النشر في القراءات العشر**، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى : 833 هـ)، تحقيق : علي محمد الضباع (المتوفى 1380 هـ)، المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية].

65. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

66. **النكت والعيون**، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

67. **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه**، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: 437هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ.د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، ط:1، 1429 هـ - 2008م

68. **اليسر والسماحة في الإسلام**، فالح بن محمد الصغير، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، عدد صفحات (الكتاب الورقي) : 47.